الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة آبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كليــة الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة دكتوراه في الأدب المغربي الموسومة بـ :

الموشحات الأندلسية بين القصيدة و الغناء

إعداد الطالبة:
اسماعيل دليلة

إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد مهداوي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د.محمد طول	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة تلمسان
أ.د.محمد مهداوي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا	جامعة تلمسان
أ.د.جلالي سلطاني	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة وهران
أ.د.محمد باقي	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة سيدي بلعباس
أ.د.محمد بنعمر	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة تلمسان
د.أمينة بن منصور	أستاذة محاضرة "أ"	عضوا	المركز الجامعي عين تموشنت

السنة الجامعية: 2015/ 2016م / 1436-1437 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهــــداء :

أهدي عملي وثمرة جهدي إلى مثلي الأعلى

أبـــــــي

السيد عبد الرزاق إسماعيل

وإلى من وقف بجانبي زوجي عبد الحق فتوحي

دون أن أنسى إبني العزيز

عــــبــــد الإلـــــه

وإبنتي نور الإيمان

مقدمة

مقدمة :

تعتبر بلاد الأندلس من البلدان الإسلامية التي عرفت إزدهارا في جميع الميادين ، وامتازت بحضارة عريقة، وثقافة واسعة، جعلت منها مسرحا لمختلف الأحداث وأبرز التطورات العلمية والأدبية والدينية.

وبعد الفتح الإسلامي غدا الأدب الأندلسي امتدادا للثقافة والأدب المشرقي إلى غاية عصر الإمارة.

أما في عصر الخلافة، فقد طرأت على المجتمع الأندلسي تغيرات اجتماعية بيئية ثقافية كانت تستند على ظهور أداة تستجيب لتطلعات هذا المجتمع، فظهرت الموشحات والأزجال. هذا اللون الأدبي الذي ولع به أهل الأدب، أدى إلى تطور في الأدب العربي والعالمي وثورة ضد كل ما هو قديم من أوزان وأعاريض عرفها العرب منذ الجاهلية.

فاستحدث الأندلسيون هذا الفن رغبة منهم في التجديد وتماشيا مع حياتهم ومتطلباتهم الاجتماعية آنذاك، فاستطاع الموشح تحقيق وظيفة أدبية، ظهرت داخل قالب متميز، ففتح باب جديد له قيمة وأثر في الفن والآداب وأخذ أشكالا مختلفة،

تختلف باختلاف المنطقة. أما الزجل فقد جاء تقليدا للموشح ولم يختلف عنه إلا في اللغة وأحيانا في الشكل، ولا يزال ينظم إلى حد الساعة ويتغنى به أهل الفن.

ولعل اختياري لهذا الموضوع يعود إلى عوامل عديدة منها :

رغبتي في دراسة الموشحات والوقوف على خصائصها، كون هذا الموضوع تقل فيه الدراسة والبحوث، كما أنه فن من الفنون التي تركت بصمة في تاريخ الأدب العربي والعالمي. ولتحقيق هذا المبتغى حاولت قدر المستطاع :

- التعريف بالموشحات وتبيان جوانبها الفنية.
- وكذا تعريف الزجل وأوزانه وبنائه وأسباب ظهور كل منهما وتطورهما.
- تطرقت بعد ذلك إلى موضوعات الموشح والزجل من غزل وخمر ووصف للطبيعة ومدح ورثاء وهجاء، وجل الأغراض التي تناولها الموشح والزجل مع ذكر أعلام هذا الفن وذكر بعض النصوص من كل غرض.
- ثم تطورت الموشحات في مجال الغناء مع التطرق إلى بعض المغنين الأندلسيين.

- وأخيرا ذكرت أشهر أعلام هذا الفن من وشاحين وزجالين ومغنين مع التعريف بهم وإعطاء نماذج من نصوص أندلسية.

وقد قسمت بحثي إلى مدخل وثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة.

- أما المدخل فتناول فتح الأندلس وطبيعة المجتمع الأندلسي، مع انتقال الشعر إلى بلاد الأندلس.

- ثم الفصل الأول الذي عرّفت فيه فن الموشح والزجل مع تبيان جوانبهما الفنية وإعطاء لمحة تاريخية عن نشأتهما.

- أما الفصل الثاني فبينت فيه مضامين هذا الفن وذلك بالتعرض إلى موضوعات كل من الموشحات والأزجال التي لا تكاد تخرج عن الأغراض التقليدية المعروفة.

- أما الفصل الأخير فهو تطور للموشحات في مجال الغناء وذلك بترجمة وجيزة لبعض أعلام هذا الفن مع ذكر بعض النصوص.

- وقبل الحديث عن نهاية البحث، أشير إلى الصعوبات التي اعترضنني وأنا أبحث في هذا الموضوع والمتمثلة في قلة المراجع ،والدراسات في هذا المجال وصعوبة قراءة النصوص الشعرية لعدم شكلها، بالإضافة إلى صعوبة فهم اللغة التي

نظم بها هذا الشعر لأنها خليط من اللهجات المتعددة.ومن الدراسات التي جاءت في هذا الموضوع ،وهو الموشحات والأزجال كتاب الموشحات المغربية لعباس الجيراري وجيش التوشيح للسان الدين ابن الخطيب وفن التوشيح لمصطفى عوض كريم بالإضافة إلى دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك وغيرها.

– وفي النهاية ختمت بحثي بخاتمة أوجزت فيها نتائج هذا البحث المتواضع.وكان المنهج الذي سار عليه هذا البحث هو المنهج التحليلي الذي يعتمد على تحليل بعض النصوص من الموشحات .والمنهج التكاملي المتمثل في التطرق إلى مفهوم كل من الموشح والزجل والوقوف على خصائص كل منهما .

وإذا كانت ثمة كلمة أختم بها هذه المقدمة ، فهي تلك التي أتوجه بها إلى ذوي الفضل من الأساتذة الذين درسوني وساعدوني في إنجاز هذا البحث المتواضع ، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف : الأستاذ الدكتور محمد مهداوي ،على ما قدمه لي من جهد عملي ، وما أمدني به من. توجيهات منهجية ، كانت ضرورية ليستقيم هذا البحث على ما هو عليه ، على الرغم من أعبائه الكثيرة ، فله مني جزيل الشكر والتقدير .

دليلة إسماعيل   تلمسان يوم .2014/06/05.

المدخل

المدخل

أ- بلاد الأندلس

ب - فتح الأندلس

ج - البيئة الطبيعية لبلاد الأندلس

د - انتقال الشعر إلى بلاد الأندلس

فتح الأندلس

كانت" القبائل الأولى من الجلالقة والسلت والبصك تسكن الأندلس، فاستقر البعض على الشواطئ الساحلية، ثم هاجر إليها سلالات من البربر سكان إفريقيا كما دخلها الفينيقيون واليونانيون وبعدها استولى عليها الرومان في أوائل القرن الثالث ميلادي واستمر حكمهم فيها زمنا طويلا ثم استولت عليها القبائل الجرمانية التي أسست مملكة سمتها " فندلس " [1] ومن هذا أخذت اسم الأندلس إلى أن غار القوط على الفندال واتخذوا طليطلة عاصمة لهم، ودام حكمهم ثلاثة قرون بلغ فيها منتهى العظمة وكان آخر ملوكهم " رودريك " الذي عرف بالتعسف و الاستبداد مما أدى إلى هجرة الكثير إلى الإمبراطورية الإسلامية أين يوجد الامن والسلام والعيش الكريم.

"وبعد أن فتح المسلمون مصر عام 20 هــ توغلوا في شمال إفريقيا فأسسوا مدينة القيروان عام 50 هــ استمروا في الفتوحات حتى بلغ عقبة بن نافع بحر الظلمات وبعد أن خلف عقبة بن نافع موسى بن نصير عام 88 ه فكان طموحه أن يجدد الفتح ليحقق به المعجزات"[2] فلم يكن أمامه سوى الأندلس. في الوقت الذي كان فيه رودريك حاكما ،وكان لرودريك أعداء وهم أنصار الملك السابق وكذا الحاكم

[1]-ابن رشيق القيراوني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل ، الطبعة الرابعة ، بيروت 1972، 83.
[2]-ابن الخطيب: لسان الدين : جيش التوشيح ، تحقيق هلال ناجي ، مطبعة المنار ، تونس ، 1967، ص 99.

يليان الذي كان يود الانتقام من رودريك الذي ساعد موسى بن نصير بإرشاده لمواطن الضعف والقوة من القوط فأرسل بن نصير طريف بن مالك إلى الأندلس طليعة الجيش ثم أرسل جيشا آخر بقيادة طارق بن زياد.

فاجتاز طارق وجيشه بحر الزقاق عبر السفن المقدمة من جوليان ففتح طارق المينة الخضراء" فأرسل موسى بن نصير عام 711 م طاق بن زياد مع جيشه نزلوا بصخرة تسمى اليوم بجبل طارق، فتعرض إلى المقاومة العنيفة والقوية من طرف رودريك وبذلك أعد طارق جيشه وخطب فيهم قائلا : « أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم وليس لكم والله إلا الصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وقواته موفورة"[1]، وأنتم لا وزر لكم عدا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم وإن امتدَّت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تُنجزوا لكم أمرًا، ذهبت ريحكم، "وتعوَّضت القلوبُ من رعبها منكم الجراءةَ عليكم، فادافعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقته إليكم مدينَتُه المحصَّنة، وإنَّ انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت. وإني لم أُحَذِّركم أمرًا

---

[1]-فوزي سعيد عيسى : الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية (د.ط) ، 1990، ص 120.

أنا عنه بنَجْوَة، ولا حملتُكم على خُطّة أرخصُ متاعٍ فيها النفوسُ إلاّ وأنا أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً؛ استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فيما حَظُّكم فيه أوفر من حَظِّي، وقد بلغكم ما أنشأتْ هذه الجزيرةُ من الحورِ الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدُّرِّ والمَرْجَان، والحُلَل المنسوجة بالعِقْيَان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عُرْبانًا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارًا وأختانًا؛ ثقةً منه بارتياحِكم للطِّعَان، واستماحِكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حَظُّه معكم ثوابَ الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، ويكون مغنمها خالصًا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم، والله تعالى وليُّ إنجادكم"[1] على ما يكون لكم ذِكْرًا في الدارين. "واعلموا أنِّي أول مجيب إلى ما دعوتُكم إليه، وأنِّي عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه لُذَرِيق فقاتِلُه -إن شاء الله تعالى- فاحملوا معي، فإنْ هلكتُ بعده فقد كَفَيْتُكم أمره، ولن يُعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه، وإن هلكتُ

[1]-عبد الله كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1961، ص 43.

قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمِّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخْذلون» [1]

وبالرغم من صعوبة الأمر على طارق أمام جيش هائل إلا أنه وفق ففتح قرطبة ،ثم قصد طليطلة واستولى على مالقة وغرناطة أما طليطلة فوجدها مغلقة الأسوار حاصرها حتى صالح أهلها وأعطاهم حريتهم.

"وبلغ هذه الانتصارات الخليفة الوليد فهم لمساعدة طارق في الفتح في وقت كان طارق قد بلغ الشمال."[2]

فدخل العرب الأندلس فاتحين، فنزل بها القبائل من قريش والعدنانية وبني هائم وإدريس بن عبد الله وبنو حمو ملوك الأندلس، كما نزل بها بنو أمية واليمانية والغساسنة، وبذلك اتصل العرب بسكان البلاد واندمجوا وأخذوا عن بعضهم بعض مظاهر الحياة ، فورث الجيل الجديد من صفات العرب والأوربيين وظل العرب في الأندلس ثمانية قرون في عيش رغد، إلى أن خرج الكثير منهم فتفرقوا في بلاد المغرب الأقصى كما قصد بعضهم البوادي فعرف أهل الأندلس بعلو الهمة ، وقصائد

[1] – ابن سعيد علي : في حلى المغرب ، تحقيق د.شوقي ضيف ، ط2، دار المعارف ، القاهرة ، 1964، ص 102.

[2] -المصدر نفسه ، ص 83.

النساب وحبهم للعلم وتقديسه، وحسن تدبيرهم في شؤون حياتهم بحسن النظام ورقة الأخلاق، كما عرفوا بالنباهة والذكاء. وبذلك عاشت الأندلس في رخاء وزهاء مدة طويلة جاعلين منها جنة ساحرة. أما عن الحكم فيها فقد حكمها العرب لولاة بنو أمية وكثرت في هذا العهد الفتوحات وبلغت الأندلس في عهد الامويين ذروة المجد فأصبحت موطن العلماء ومهد الحضارة والثقافة.

ثم تلى الأمويين مولك الطوائف وعرفت هذه الفترة ضعفا سياسيا فكثرت الخصومات والنزعات بين الحكام كما اشتهر العلم والفن في هذا العهد وذلك نتيجة تشجيع الحكام لها ومن الشراء الذين عاشوا في هذا العهد ابن رشيق المتوفي عام 456 ه الذي قال :[1]

مِمَـــا يُزهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُــسْ   أَسْمَاء مُعْتَمَدْ فِيهَا وَ مُعْــتَضَــدْ

أَلْقَابٌ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا   كَالْهِرِ يَحْكِي اَنتِفَاخًا صَوْلَةُ الأَسَدِ

وبعد انقضاء فترة حكم الطوائف خضعت الأندلس لحكم البربر والمرابطين مدة 145 سنة وفي هذا العصر أصبحت الأندلس تابعة للمغرب وفي وسط الاضطرابات والضعف الذي عرفته هذه الفترة أنشأ بالمغرب دولة جديدة سميت بدولة الموحدين،

[1] – الملك ابن سناء: دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق: جودة الركابي ، ط2، دمشق ، 1977، ص 78.

وكانت تمثل شمال بلاد المغرب من طرابلس إلى مراكش وبلاد الأندلس وحكم الموحدون البلاد نحو 87 سنة وبعد ضعف دولة الموحدين أسس بن الأحمر مملكة عاصمتها غرناطة واستمر مدة طويلة في الحكم في ظله تم إرجاع معظم بلاد الأندلس وعرفت هذه الفترة بالإنتعاش الأدبي وتطور العلوم، لكن ضعف السلاطين فكثرت الاضطرابات فأخذ الإسبان يتقرب من غرناطة إلى أن استولوا عليها فقتلوا الكثير من الغرب وسجنوا البعض الآخر وعليه انتهت دولة الأندلس.

- **الشـــعـــر فـــي الأنـــدلـــس :**

عرف ملوك الأندلس بالشعر والأدب فكانوا يعطون الشعر أهمية كبيرة ومكانة عظيمة. منهم عبد الرحمن الداخل وابنه هشام وكان المنتصر عالما. وأدى هذا الاهتمام لاستنطاق القرائح ،والتعبير عن الجوارح والنهوض بالفكر. فكان الشعر غذاء أرواحهم وأنيس وحدتهم وكانت مجالس الأدب من أكبر مسارح الأفكار ،يعبرون فيها عن مظاهرهم العقلية والاجتماعية فكان الأدب والشعر ترجمة لما في نفوسهم وكان للمنصور مجلسا أسبوعيا يجتمع فيه أهل الأدب وكان للمعتمد دار خاصة بالشعراء.

"ومما جعل الأندلسيين نابغين في الأدب ذكائهم الحاد وجودة قرائحهم وقوة حافظتهم ووعيهم.

فكان الأدب محل اهتمام السلاطين والملوك والأمراء والخلفاء فأعطوه المكان الأول من الاهتمام.

ومن ميزات الشعر الأندلسي : تعدد الأغراض من مدح ورثاء وفخر وحماسة وغزل وخمر وزهد وتصوف حتى أنهم اتفقوا على المشارفة في بعض الأغراض كالوصف."[1]

فالمعروف عن الأندلس الجنة الساحرة والظاهرة التي لا تكرر فبطبيعة الحال الوصف فيها يكون قويا معبرًا وواسعا.

"فأفرطوا بعنايتهم بالعلوم وحبهم للعلما، وضبطهم للعلوم فكافحوا " البغداديون " في نظافتهم علمهم ورقة أخلاقهم ونباهة ذكائهم، وحسن نظرهم، وجودة قرائحهم ونظافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم،وحاكوا " اليونانيون " في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الفرسان، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر. فهم أحكم الناس لأسباب

[1]-منظور محمد: الأدب وفنونه ، القاهرة ، دار النهضة للطباعة والنشر (د.ط)، ص 93.

الفلاحة وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصناعات وأحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب."[1]

وبعد انقضاء ثمانية قرون تفرق العرب فمنهم من دخل المغرب الأقصى ومنهم من نزل في البوادي.

ب- الشـــعـــر الأنـــدلـــســـي :

من طبيعة العرب المتأصلة فيهم "حب الشعر فهو مرآة حياتهم وغذائهم الروحي الذي لا يمكن الاستغناء عنه"[2] مهما توالت العصور، فكان الشعر ملاذهم الوحيد الذي يعبرون به عن قرائحهم ويترجمون به أفكارهم ويصفون من خلاله حياتهم.

والمعلوم عن طبيعة الأندلس الفاتنة الساحرة التي أدهشته العقول بجملها روعتها وطبيعتها الخلابة التي فجرت وجدان الشعراء وزادتهم إلهاما وخيالا مما زاد في سعة خيالهم وجمال ألفاظهم وتنوع صورهم.

[1]-المقري شهاب الدين أحمد : أزهار الرياض في أخبار عياظ ، القاهرة 1939-1942، ص 143.
[2]- منظور محمد : الأدب وفنونه ، دار النهضة للطباعة والنشر ، (د.ط)، القاهرة ، ص 72.

وكان الشعر محط اهتمام الملوك والأمراء مما زاد إقبال الشعب إليه فأصبح اهتمام الأدباء والعلماء والفقهاء والفلاسفة والأطباء وحتى الرياضيون كما نبغت فيه النساء وأصبحت يضاهين الرجال كقول حمدونة الأندلسية تصف واديا :

"وقَانَا نَفْحَةَ الرَمْضَاءِ وَادَ   سَقَاهُ مُضَاعِفَ الوَبْلِ العَمِيمِ

نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْــنَا   حَنُو المُرْضِعَاتِ عَلَى الفَطِيمِ"[1]

وبهذا فقد انتقل الشعر من عصر إلى عصر إذ بعد دخول العرب إلى الأندلس لم يجدوا فيها إلا الأعاجم فكان من الصعب وجود ثقافة متميزة آنذاك لكن بعد اختلاطهم بالسكان الأصليين بدأ العرب بتشييد المساجد والجوامع حيث انتشرت الثقافة العربية الإسلامية، ظهرت ثقافة أندلسية متأثرة بعادات وتقاليد مختلفة كان يحملها عرب وافدون من المشرق وبربر وافدون من شمال إفريقيا.

وبما أن هذه الفترة كانت فترة حروب لم يكن للشعراء وقت لتدوين شعرهم.

وبعد أن كثرة الهجرة من المشرق إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق انتقلت أمهات الكتب ومن بينها دواوين الأشعار.

[1]-عوض كريم مصطفى : فن التوشيح ، بيروت ، دار الثقافة ، ط.2، 1974، ص 82.

وعليه فإن العرب في عصر الولاة كان انشغالهم بالفتح والعمل على الاستقرار المادي والمعنوي أكثر من اهتمامهم بالشعر. ولعل الشاعر الوحيد الذي لم يكن مشرقيا هو طارق بن زياد وهو يقول :[1]

رَكِبْـــنَا سَـــفِينًا بِـــالْـــمَجَازِ مَقِيرًا

عَسَى أَنْ يَكُونَ اللهُ مِنَا قَدْ اشْتَــرَى

نُـــفُــوسًـــا وَأَمْـــــوالاً وَأَهْـــلاً بِـــجَـــنَـــةِ

إِذَا مَا اْشتَهَيْنَا الشَيْءَ فِيهَا تَيْسِـــرَا

ولَسْنَا نُبَالِي كَيْفَ سَالَتْ نُفُوسِنَا

إِذَا نَحْنُ أدْرَكْنَا الَذِي كَـــانَ أَجْـــدَرَا

وكان من العرب الوافدين في هذه الفترة أي فترة الولاة الشاعر أبو الأجرب جعونة ومن قوله :[2]

---

[1] – المقري شهاب الدين أحمد : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، 1995، ص 83

[2] – الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي ، القاهرة 1967، ص 53.

وَلَقَدْ أَرَانِي مِنْ هُوَايَ بِمَنزِلٍ

عَالٍ ورَأْسِى ذُو غَدَائِرَ أَفْرَعُ

والعيشُ أغْيَدُ ســَاقطٌ أفنَانُهُ

والمــاءُ أطــيبــُهُ لــنــَا والمــَرْتــَعُ

وكذلك من شعراء هذه الفترة أبو الخطار حسام بن نزار ولي الأندلسي بعد مقتل أميرها يقول :[1]

فليتَ ابنَ جَوّاسٍ يُخبَّرُ أنني

سَعيْتُ بهِ سعْيَ امرىءٍ غيرِ غافلِ

قتلتُ به تسعينَ تحسَبُ أنَّهم

جُــذوعُ نــخيلٍ صــُرِّعَــتْ بالمَسَايلِ

فَلَوْ كَانَتِ المَوْتَى تُبَاعُ اشتريتُهُ

بكَفــيٍّ وَمَــا استثنيْتُ مِنْهَا أَنَامِلِــي

---

[1] – الضبي : بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ص 276.

وكذلك من شعره :[1]

أَفَادتْ بَنٌو مَرْوَان قَيْسًا دِمَاءَنَا

وَفِي اللهِ أَنْ لَمْ يَعْدُلُوا حَكَمَ عَدْلِ

كَــأَنــكُــمْ لَــمْ تَشْهَــدُوا مَــرِجَ رَاهِــــطٍ

وَلَمْ تَعْلَمٌوا مِنْ كَانَ ثٌمَ لَهٌ الفَضْلٌ

وٌقَــــيْــنــاَكٌمْ حَرٌ الــقَــنَا بِــنٌــفٌــوسِــنَــا

وَلَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سِوَانَا وَلاَ رَجُلٌ

فَلَمَّا رَأَيْتٌمْ وَاقِدَ الحَرْبِ قَدْ خَبَا وَطَابَ لَكٌمْ فِيهَا المَشَارِبُ والأكْلِ

تَثَاقَلْتُمْ عَنَّا كَأَنْ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ

صَدِيقًا وَأَنْتُمْ وَأَنْتٌمْ مَا عَلِمْنَا وَلا فَعُلَ.[2]

[1] – المصدر نفسه، ص 277.

[2]- ابن مرابط محمد: الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان ، تحقيق عبد المجيد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982، ص102.

كما شهدت هذه الفترة شعراء ضاعت أشعارهم بسبب الاضطرابات والحروب التي كانت تشهدها المنطقة آنذاك.

الشعر في عصر الإمارة :

تأسست الإمارة سنة (138 ه – 755 م) على يد عبد الرحمن الداخل الذي هرب من المشرق بعد سقوط دولة بني أمية في دمشق على يد العباسيين، فدخل الأندلس في ظروف جد صعبة حيث كانت الفتن والمنازعات، فتمكن من القضاء على الأرستقراطية فأسس جامع قرطبة الذي يعد الانطلاقة لثقافة أندلسية وبهذا قد ظهر جيل من الأدباء كما كان الأمراء كذلك ينظمون الشعر إذ يقول الأمير عبد الرحمن الداخل[1]

يَا نَخْلُ أَنْتِ غَرِيْبَةٌ مِثْلِي

فِي الْغَرْبِ نَائِيَةٌ عَنِ الْأَصْلِ

"فَابْكِي وَهَلْ تَبْكِي مُكَمَّمَةٌ

عَجْمَاء لَمْ تُطْبَعْ عَلَى خَـــــتَـــــلِ

[1] – المصدر نفسه ، ص 94.

لَــوْ أَنَّهَا تَبْكِـــي إِذاً لَبَكــَتْ

مَـــآءَ الْفَــراتِ وَمَـــنْــبِتَ النَّخْــلِ

لــكنها ذهــلت وأذهــلني

بغضي بني العبـــاس عن أهلي"[1]

وقوله أيضا [2]

أَيُّهَا الـــرَّاكـــِــب المـــُيـــَمِّم أرْضِي

أقْـــرِ مِـــن بـــَعْــضِي الـــسَلامَ لَبَعْضِي

إن جِسْمِي كَمَا علمْتَ بأرْضِ

وَفُـــؤَادِي كَـــمَا عَـــمِـــلْـــتَ بـــأرضِ

قُـــدِّر الـــبـــيْـــنُ بـــيـــنـــنا فـــافـــتـــرقـــنا

وطوى البينُ عن جفوني غمضي

قـــد قـــضى الله بـــالفـــراق عـــليـــنا

[1] -المصدر السابق، ص 93

2 - النواجي شمس الدين : عقود اللال في الموشحات والأزجال ، تحقيق : عبد اللطيف الشهابي ، دار الرشيد ، بغداد 1982 ، ص 73.

فعسى باجــتماعنا سوف يــقضي

وكذلك ممن قالوا شعرا في عصر الإنارة الحكم بن هشام حفيد عبد الرحمن الداخل والذي قال : [1]

رأيتُ صدوعَ الأرض بالسيف راقعاً،

وقُدُماً لأمتُ الشعب مذ كنت يافعاً

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثُغرة

أبادرها مستنضي السيف دارعاً،

وشافه مع الأرض الفضاء جماجماً

كأقحاف شريان الهــبــيد لوامعا،

تــنبــئك أني لم أكن في قــراعهــم

بِــوَانٍ، وقَــدَمــاً كَــنٌــتِ بالسيف قَارِعاً،

[1] – المصدرالسابق ، ص 86.

وإني إذ حَادُوا جَزاعاً مِن الرَّدَى

فَلَمْ أَكُ ذَا حيدٍ مِنْ المَوتْ جَازِعاً،

حميتُ ذِمَاري فانتَهبَتْ ذِمَارهُم

وَمِن لا يُحَامِي ظلّ خَزِيَانِ ضَارعاً،

"وقال في الغزل :[1]

قَضَبَ منَ البَانِ مَاست فَوقَ كُثْبَانِ..

ولَّيْــن عَنِّى وَقــَد أزمَــعْــنَ هَــجَرانِــى

ناشدتهن بحقى فاعتزمن على العصيان لما خلا منهن عصيانى

مَلَكَننِى مَلِكــاً ذَلــَتُ عَــزَائِمُه

للْحُبِ ذُلُ أُثــيِــرُ مَــوثــِقُ عَــانَى

مِنْ لَى بِمُغتصبَاتِ الرُوحِ مِنْ بَدنِى

يَغْصِبُننِى فِي الهَوى عَزِّى وسُلْطَانِى"

---

[1] – الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.ص 122

وكذلك من شعراء هذه الفترة سعيد بن جودي ومن قصائده قصيدة قالها وهو أسير[1]

خَليلَيَّ صَبراً راحَةُ الحرّ في الصَّبرِ
وَلا شَيء مِثل الصَّبرِ في الكَربِ لِلحُرِّ
فَلا تــَيأَسا مــِن فــَرحَـــةٍ بَعدَ تــرحة
وَأَن تَبأيا بِاليُسرِ مِن بَعد ما عُــسرِ
فَــكَـــم مِن أَسيرٍ كانَ في القِدِّ مـــوثِقــاً
فَـــأَطلَقَـــهُ الرَّحمَنُ مِن حَلــَقِ الأَســـرِ
لَـــئِـــن كـــُنتُ مَأخوذاً أَســـيراً وَكـــُنـــتـــُما
فَلَيسَ عَلى حَربٍ وَلَكِن عَلى غَـــدرِ
وَلَو كُنتُ أَخشى بَعضَ ما قَد أَصابَني
حَـــمَتـــني أَطرافُ الرُّدَينِيةِ السُّمرِ

[1] – ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ،دار القلم ، بيروت 1955، ص 102.

فَــقــَد علمَ الفتيانُ أَنّي كَــمِيُهــا

وَفارِسُها المِقدامُ في ساعَةِ الذُّعرِ[1]

ومنهم أيضا عبد العزيز القرشي من شعره:

اِجْعَلْ لَنَا مِنْكَ حَظاً أَيُّها القَمَرُ

فَإِنَّمَا حَظَنَا مِنْ وَجَهِكَ النَظَرُ

رَءاكَ نــَاسٌ فَــقَالُوا إِنْ ذَا قَمَرٌ

فَقُلْتُ كَفُوا فَعِندِي فيهمَا خبر[2]

البدرٌ لَيلَةُ نِصفَ الشَهْرِ بَهْجَتَهُ

حَتَى الصبَاحِ وَهذَا دَهْرُه قَمَرٌ

والله ما طلعت شمس ولا غربت

إلا وجاءت إليك الشمس تعتذر

---

[1]- ابن سعيد علي : المغرب من حلى المغرب ، تحقيق ، د.شوقي ضيف ، ط.2، دار المعارف ، القاهرة ، 1964، ص 66.

[2]- المصدر نفسه ، ص 67.

بالإضافة إلى شعراء تلك الفترة الشاعر عبد الرحمن الثاني ومن شعره[1]

ما تَـــراهُ في اصْـــطِبـــاحٍ وَعُقودُ القَطرِ تُـــنْـــثَـــرْ
ونـــَسِيمُ الـــرَّوْضِ يـــَختَا لُ عَـــلى مِســـكٍ وعَنْبَرْ
كلَّما حَـــاوَلَ ســـبْقـــــــاً فَهْـــوَ فـــي الرَّيحانِ يَعْثُرْ
لا تكُـــنْ مِـــهْمالةً واسْـــ ـــبقْ فما في البُطْءِ تُعْذَرْ "

ومن شعر المطرف بن عبد الرحمن الثاني يقول :[2]

أفْنَيتُ عُمْري بالشُّـــرْبِ والوُجُوه الـــمِلاح
ولَمْ أضَيع أصـــــــيلاً ولا إطِّلاع صَبَاح
أُحيّ اللّيالِـــــي سُهْداً فِي نـــَشْوَةَ ومَرَاحُ
ولـــســـتٌ أسْمَع مَـــاذَا يَقُولُ دَاعِي الفَلاح

[1] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 50.
[2] – المقري : نفح الطيب، ص 119.

كذلك الشاعر الأسدي الذي يقول :[1]

مــنازلـــنـــا مـــعمـــورة لا بلاقـــع

وقلعتنا حصن من الضيم مانـــع

وفيها لنا عز وتدبير نصـــــرة

ومنــــــهـــا عليكم تـــشيـــب الوقائع

ألا فأذنوا منها قريبا بوقعــــــة

تشيــــــب لهـــا ولداتكم والمراضع

وفِيهَا لنَا عِزٌ وتَدْبِيرُ نُصْــــرَةُ

وَمِنْهَا عَلَيْكُمْ تشيب الوقَائِعٌ

ألاَ فأذنوا مِنْهَا قَرِيبًا بِوقْعِــــة

تشيبُ لَهَا وَلَداتِكٌمْ والمَراضِعُ

[1] – ابن حيان القرطبي : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، طبعة الأب ، منشور أنطونيا ، باررِيس 1937، ص 63 .

ولم يقتصر الشعر في هذه الفترة على الرجال فحسب بل برزت شخصية المرأة الأندلسية وكانت من بينها شاعرات منهن حسانة التميمية تقول مستعطفتا الحاكم هشام بن أمير[1]

إنّي إليكَ أبا العاصي موجّعة

أبا الحسين سقته الواكف الديمُ

قد كنتُ أرتعُ في نعماه عاكفة

فاليومَ آوي إلى نعماك يا حكمُ

أَنت الإمامُ الذي اِنقاد الأنام له

وملّكته مقاليد النهى الأممُ

لا شيءَ أَخشى إذا ما كنت لي كنفاً

آوي إليهِ ولا يعروني العدمُ [2]

فأعجب الحاكم بشعرها وأمر بصرف راتب لها.

---

[1] – المقري : نفح الطيب، ص 305.

[2]-المصدر السابق ، ص 306

وعرف الشعر في هذا العصر بالتجديد في الموضوعات فبرزت شخصية الشعراء مبتعدين عن التقليد واخترعوا الموشحات.

- **الشعر في عصر الخلافة :**

ويبدأ هذا العصر سنة 316 ه – 929 ه وفي هذا العصر ظهرت الوطنية الأندلسية كما شهدت الأندلس الرفاهية و التطور في مختلف الميادين فسمي هذا العصر بالعصر الذهبي.

وتم جمع الكتب من مختلف أنحاء البلاد العربية كما ظهرت الكتب الشعرية القيمة أشهرها كتاب << الحدائق >>.

ومن شعراء هذه الفترة ابن فرج الجياني في قوله

وطائعة الوصال عدوت عنها وما الشيطان فيها بالمطاع[1]

بَدَتْ فِي الليْل صَافِرةُ فَبَاتتْ

دَيَاجِي الليلِ سَافِرةُ القنَـــاعِ

وَمَا مِـــنْ لَحْظـَــة إلاَّ وفيهَا

[1]-الضبي : بغية الملتمس ص 152.

إلى فَتن القُلوبَ لَهَا دَواعِـــي

فَمَلكتَ النهى جمحات شوقي

لا جري في العفاف على طباعي

وبَـــثَ بِـــهَـــا مـــبَيتِ السَقب يَـــظِمـــاً

فيمنَعَهَا الكَعام مَنْ الرضَاعُ

كما جاء بعده ابن حزم صاحب كتاب << طوق الحمامة >> كما برع في مجال الأدب ان عبد ربه صاحب كتاب << العقد >> كما برع في الشعر منه قوله[1]:

بَليتَ وأبلتَني اللَيالِي وكَرهَا	كِلاني لِما بي عاذِليَّ كَفاني
وصرفانِ للأيامِ معْتَورانِ	بليتُ وأبلتْني الليالي بكرِّها
وعشرٍ أتتْ من بعدِها سنتَانِ ؟	وما ليَ لا أبكي لسبعينَ حجَّةَ
ودونَكما مني الذي تَرَيانِ	فلا تسألاني عن تباريحِ علَّتي
ولي من ضمان اللّه خَيرُ ضمانِ	وإني بحمد اللّهِ راجٍ لفضلهِ

[1] – الحميدي : جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، دار الكتاب اللبناني ، ط.2، بيروت 1983، ص 108.

إذا كان عقلي باقياً ولساني	ولستُ أُبالي عن تباريحِ علَّتي
فذا صارِمي فيها وذاكَ سِناني[1]	هُما ما هما في كلِّ حالٍ تُلمُّ بي

ومن الشعراء الذين تألقوا في هذه الفترة بن أبي عبده أبو الحزم الوزير ومن ذلك قوله:

الوردُ أحسنُ ما رأت عين وأزكي

ما سقى ماء السحابِ الجائدُ

خضَعتْ نواوير الرياض لحسنه

فتدللـــت تنقاد وهي شواردُ

وإذا تبـــدّى الورد في أغصانه

ذلوا فَـــذَا مَيْتٌ وهَذا حاسدٌ

وإذا أتَى وفدَ الربيعٌ مبشـــراً

بِطلوعِ صفحتهِ فنعمَ الوَافِدُ

[1]-الضبي :بغية الملتمس ، ص 261

ليس المبشِّر كالمبشّر باسمـــهِ

خَبرُ عليه من النٌبوة شاهدُ [1]

ويعد ابن هاني الأندلسي الذي كانت له شهرة كبيرة بالأندلس وكذلك الشاعر يوسف بن هارون الرمادي الذي اشتهرت على يده الموشحات وأخص في الأدب معاني جديدة ومن شعره يقول :[2]ب

بَخطبِ الشَّارِبينَ يَضيقُ صَدري

وَتُرمِضُني بَلِيَّتُهُم لَعَمري

وَهَل هُم غَيرُ عُشَّاقٍ أُصيبوا

بِفَقدِ حَبائِبٍ وَمُنوا

بِهَجرِ

أَعُشَّاقَ المُدامَةِ إِن جَزِعتُم

لِفُرقَتِها فَلَيسَ مَكانَ صَبرِ

[1]- الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 43

[2] –المصدر نفسه ، ص 44.

سَعى طُلابُكمُ حَتّى أُريقَت

دِماء فَوقَ وَجهِ الأَرضِ تَجري

تَضَوَّعَ عَرفُها شَرقاً وَغَرباً

وَطَبَّقَ أُفقَ قُرطُبَةٍ بعطرِ

فَقُل لِلمُسفحين لَها بِسَفحٍ

وَما سكَنتهُ مِن ظَرفٍ بِكَسرِ

وَلِلأَبوابِ إِحراقاً إِلى أَن

تَركتُم أَهلَها سُكَّانَ قَفرِ

ومن الخلفاء الذين اهتموا بالشعر اهتماما بالغا حتى أنهم أصبحوا شعراء الخيفة عبد الرحمن الثاني الذي يقول [1]

مَا كُلَّ شَــــيءٍ فَقَدتّ إلا عَوَّضَنِي الله منهُ شيئًا

إنِي إذَا مَا مَنَعْتٌ خَيري تَــبَاعَدَ الخَيْرٌ مِنْ يديَّا

[1] – ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ص 184.

مَنْ كَانَ لي نعمةٌ عليهِ   فـــــإنّهَا نِعْمَةُ عَلَّــيَّا[1]

وفي هذه الفترة بلغ الشعر الأندلسي ذرة التطور إذ تم استحداث معان جديدة لهذا الفن بصورة جديدة تختلف عن الشعر التقليدي واستحداث فن جديد على يد كل من مقدم والرمادي وهو فن الموشح الذي تحرر الشعراء من خلاله عن نمط الشعر التقليدي.

نشأة الشعر متعدد القوافي :

يعد الشعر العربي القديم هو أول تظم في التاريخ الذي عرف بالقافية الموحدة وسار على هذا النظم أكبر وأعظم الشعراء العرب الطين بلغوا قمة الإعجاز بشعرهم المقفى الموزون الذي اتهر واستمر عبر الزمن ولازال متداولا لحد الساعة وبالرغم من التطورات التي طرأت على الشعر العربي إلا أنها كانت تغيرات تخص البناء الداخلي للقصيدة.

وبالتالي ظهرت قصائد تعتمد على القافية الموحدة وأخرى على تعدد القافية غير أن الشعراء اعتبروا هذا النوع المتعدد القوافي تعتبر جديدا ومن ذلك قول الخنساء[1]

---

[1]- الحموي بن حجة : بلوغ الأمل في فن الزجل ، تحقيق:د.رضا محسن ، 1974، ص 50.

حـــامي الـــحقيقةِ   محمـــودُ الخليقةِ

مَهْديٌّ الطَّريقـــةِ   نفّـَاعٌ وضـــرارِ

جَـــوَابُ قَـــاصِيةِ   جَزازَ ناصيـــةِ

عَقـَاد أَلْوِيــــَـةٍ   للخَيْلِ جـــرارِ

وجاءت هذه الأبيات مختلفة القافية وقد تأتي بعض القصائد على هذا المنوال غير أن قوافيها متوحدة وسمي هذا النوع بالرجز وكذلك سمي بالتصريح وفيها أرجوزة أشهرها أرجوزة نظمها ابن عبد ربه يقول فيها[2]

سُبحانَ مَن لم تَحوِه أَقطارُ

ولم تكنْ تُدركُهُ الأَبصارُ

وَمَـــن عَـــنـــت لوجهـــه الوجـــوهُ

فَمــَا له نِـــدٌّ ولا شَبيـــهُ

---

[1] –الحلبي شهاب الدين الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق : إكرام عثمان يوسف ، دار الرشيد ، بغداد 1980، ص 102.

[2] – ابن عبد ربه: الديوان، تحقيق محمد رضوان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1979. ص 83.

سبحانَه مِــن خالقٍ قديــرِ

وعَالمٍ بِخلقهِ بَصيـــــرِ

وأَوَّلٍ ليـــــس له ابتــداءُ

وآخِرٍ لَيْسَ لَهُ انْتهَــاءُ

أَوْسَعنا إِحْسَــانــُـه وفــضلُهُ

وعَزَّ أَن يكونَ شيءٌ مثلُــــهُ

وجَلَّ أَنْ تُدْركَهُ العُيونُ

أَو يَحْوِياه الوَهم والظُّنــونُ

لكنَّه يُدرَك بالقَريحَــه

والعَقلِ والأَبْنيةِ الصَّحيحَه

والملاحظ عن هذه القصيدة كما جاءت متنوعة القافية على شكل (أ أ) (ب ب) (ج ج).

وتطورت الأرجوزة إلى أن أصبحت الأرجوزة مثلثة ومربعة ومخمسة.

ثم ظهرت المسمطات وهي تتقسم إلى عدة أنواع منها الثلاثيات (أ أ، ب، ج ج ب، س س ب) وكذلك الرباعيات (أ أ أ ب، ج ج ب، س س ب) وكذلك الرباعيات (أ أ أ ب، ج ج ج ب، س س س ب) والخماسيات (أ أ أ أ ب، ج ج ج ج ب، س س س س ب)

ومنها قول الشاعر:[1]

فالحقُّ في أفقٍ والشركُ في نفقٍ

والكفرُ في فَرَقٍ والدِّين في حَـــــرَمِ

وكذلك قول امرئ القيس[2] توهمت من هند معالم أطلال:

عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

مرابع من هند خلت ومصايف

---

[1] – ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1979، ص 102 .

[2] – الداية محمد رضوان : أبو البقاء الرندي ، شاعر رثاء الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، ط1، بيروت ، 1976، ص 130.

يصيح بمغناها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصــف

وكل مـــســف ثــم آخر رادف

بأسحم من نوء السماكين هطال

وقد نوع الشعراء في المسمطات منها من تأتي بأربعة أقسام أو باقل من ذلك.

وقد يشمل الشاعر مسمطته ببيت مصرع أو بيتين وقط تكون بأكثر من بيتين كقول خالد القناص[1]

لقد نكرت عيني منازل جيرانِ

كأسطار رقّ ناهج خَلَق فاني

توهمتها من بعد عشرين حجة فما أستبينُ الدار إلا بعرفــانِ

فقلتُ لها حييت يا دارَ جيرتي

أَبينِي لَنَا أَنى تبدّدَ إِخْــوَانــِي

[1] – ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، دار الجيل ، ط4، بيروت 1972، ص 179.

وأيِّ بـــِلاَدٌ بَعْدٌ رٌبَعٌكَ حَاَلفٌوا

فإنَّ فٌؤَادِي عِنْدَ ظبيةِ جيرَانِي

وما نطقتْ واستعجمتْ حين كلمتْ

وما رجعتْ قولا وما إن ترمرمـــتْ

وكـــان شفائي عندها لو تكلمتْ

إليِّ ولو كانتْ أشارتْ وسَلّمَـــــتْ

ولكنهـــا ضَنَـــتْ علــّبـــتــِبـــيانِ[1]

كما ظهرت في الأدب الأندلسي ما يسمى بالقصائد الحوارية وهي قصائد يتناوب عن نظمها شاعران فأكثر، وهي من الشعر المقطعي متعدد القوافي أو قد يخضع لقافية، واحدة ظهر هذا النوع منذ الجاهلية ثم عرفه الأندلسيون فكان في مجالسهم ومن أشهر من طرقوا هذا النوع من النظم الشاعر الأندلسي ابن زيدون

[1]- المصدر السابق ، ص 180

ولاقة وهذا النوع من القصائد تكون مقطوعاته متساوية الأقسمة كما تكون لكل مقطوعة قواف مثل قوافي المقطوعات الأخرى."[1]

وبهذا فقد مر الأدب الأندلسي بعدة محطات إلى أن ظهرت الموشحات والأزجال ابتكرها الأندلسيون نتيجة ظروف اجتماعية وثقافية، وكانت بمثابة ثورة ضد الشعر التقليدي والأوزان التي عرفها العرب منذ الجاهلية.

فأخذت الموشحات والأزجال شكلا جديدا لا يتفق مع القصيدة التقليدية في جوانب كثيرة من حيث الشكل واللغة والقافية والأوزان وتتصل اتصالا وثيقا وطرائف الغناء في الأندلس.

البيئة الطبيعية لبلاد الأندلس

1) الحياة الاجتماعية والثقافية :

شهدت بلاد الأندلس تغيرات من الجنب الثقافي والاجتماعي ويعود ذلك لاختلاف الحضارات والأجناس البشرية المتعاقبة عليها، مما أدى إلى تباين في البيئة خاصة وأن الأندلس خاضت حروبا مما جعلها تضم أجناسا بشرية مختلفة من عرب

[1]- الأهواني عبد العزيز : الزجل في الأندلس ، القاهرة ، 1967 ، ص 33.

وبربر ويهود وإسبان ...إلخ التي كان فيما بينها نزاعات وصراعات عادت على أهاليها بثقافة العصبية والمشاحنة.

ولقد حمل العرب معهم ثقافة إسلامية مستمدة من ديننا الحنيف وباعتبار الثقافة العربية التي تنشد التكاثر والإنجاب فقد انتشر العرب بصورة كبيرة وهائلة مما أثر على البيئة الأندلسية بالإيجاب.

هذه الثقافة التي تحمل في طياتها التطور والازدهار والرقي والعمل الدؤوب كلما كانت في صالح بلاد الأندلس التي جنت ثمار هذه الثقافة الإسلامية فنا وازدهارا وعمرانا ومالا وفيرا يؤمن حياة رغيدة.

وما يعرف عن الأندلس أنها بلاد السحر والجمال ببساتينها وأنهارها وخضرتها وماءها ما شجع اهلها على الحفاظ عليها إذ يتغنى بها أحد الشعراء قائلا[1]

حبذَا أندلـــسٍ مِـــنْ بلدٍ   لَمْ تَزلْ تَنْتُجُ لِي كُلَّ سِـــرورْ

طائرٌ شـــادٍ وظلٌ وارفٌ   ومـــيـــاهٌ سائحاتٌ وقصورْ[2]

---

[1] – المقري : نفح الطيب ص 148.

[2]- المصدر السابق ، ص 171

ولقد اختلفت مظاهر الجمال في المدن الأندلسية فكل منها تحظى بلمسة وإبداع مختلفة عن الأخرى مما زاد سكانها حماسا وولوعا بها وهذا أحد شعراء بلدة برجة يتغنى بجمال مدينته قائلا :[1]

إذا جئت برجة مستوفرا　　　فخذ في المقام وختلّ السّفر

فكل مكـــان بهـــا جنة　　　وكل طريق إليـــها سقـــر

ويقول ابن اللبانة في وصف ميورقة[2]

بَلَدٌ أعارَتْهُ الحمامةُ طَوْقَها　　　وكساهُ حُلّةَ ريشِهِ الطّـــــاووسُ

وكأنّ هاتيكَ الشقائقَ قَهْوَةٌ　　　وكـــأنّ ســـاحـــاتِ الديارِ كؤوسُ

ويقول ابن الزقاق في وصف بلنسية

بِلَسيةٌ إذَا فكَّـــرتَ فيهَـــا　　　وَفـــي آياتُها أسْنَى البلاد

وأعظم شَاهِدي منها عليها　　　بأنَّ جمـــالَها للعَينِ بـــَادِ

كساها ربَـــّنا ديباجَ حَسن　　　له عَلِمَان من بَحْر وَوَاد

[1] – المصدر نفسه ، ص 172..

[2] – المصدر نفسه.ص 173

كما عرفت الأندلس بفخامة صورها ومن بين الملوك الذين أعطوا اهتماما بالغا لتزين القصور عبد الرحمن الأوسط الذي أضفى عليها جمالا لا مثيل له وهذا شاعر يصف أحد هذه القصور قائلا :[1]

يجولُ السَّنا فيها مجالَ الشّعاع في

صفيحةِ سيفِ الصَّيْقل المتقلــدِ

عشيقٌ ومعشـــوقٌ وبهـــوٌ وزاهـــرٌ

إلى كاملٍ في حســـه ومحدَّدِ

مجالسُ طالتْ في السَّماءِ وأشرقتْ

مَتَى تبدُو للأبصارِ تقرُبْ وتبعُــدِ

ظلامُ الدُّجَـــى فيها نهارٌ كأنَّمـــا

تروحُ وتُمسي الشَّمسُ فيها وتغتدي

وكذلك من المدن التي شاع جمالها آنذاك مدينة الزهراء التي أسسها عبد الرحمن بن الناصر في شمال قرطبة، فقد عرفت هذه المدينة بأنها بنيت بأجود أنواع

[1] – المقري نفح الطب ، ص 175..

الرخام والأحواض المذهبة المنقوشة وهذا دليل على ولوع الملوك بالعمران وإعطائه عناية كبرى.

ويقول ابن شخيص في وصفها[1]

هذي مباني أمير المؤمنين غدتْ

يُزري بها آخار الدُّنيا علَى الأُولِ

كذا الدَّراري وجدْنا الشَّمسَ أعظمَها

قدراً وإنْ قصُرتْ في العلْو عن زُحلِ

لقد جلا مصنعُ الزَّهراءِ عــن أثــرٍ

موَّحـــدِ القدر عن مثلٍ وعنْ مثلِ

فاتتْ محاسنُها مجهودَ واصفها

فالقولُ كالسَّكتِ والإيجازُ كالخطلِ

بل فضلُها في مباني الأرض أجمعها

---

[1] – المقري : نفح الطيب ص 114.

كفضل دولةِ بايها علَى الدُّولِ كادتْ قسيٌّ الحنايا أنْ تضارِعها

أهـــلَّةُ السَّعدِ لولا وصمةُ الأفلِ تألفتْ فغدا نقصانُها كملاً

وربَّـــــما تـــــنقُصُ الأشياءُ بالكمَلِ

فهذا الشعر يصف الفن المعماري الجميل الذي تمتاز به المدينة.

فكل ما يقال عن مدينة الزهراء أنها مدينة بلغت قمة في الروعة والجمال طالما تغنى بها الكثير من الشعراء الذين ولعوا بجمالها الفتان.

كما جاءت مدينة أخرى منافسة لمدينة الزهراء فهي مدينة الزهراء التي أسسها المنصور بن أبي عامر وهي الأخرى لا تقل جمالا وروعة عن الزهراء وقد قال فها صاعد اللغوي [1]

أما تَرَى العَينَ تَجرِي فَوقَ مَرمَرِها

زَهوا فَتُجرِي على أحسائها الطَّرَبَا

أجرَيتَها فَطَمَا الزاهِي بجِريتَها

كَمَا طَمَوتَ فَسُدتَّ العُجمَ والعَرَبَا

[1] - المقري : نفح الطيب ص 114.

تَخَالُ فيه جُنودَ الماءِ رافِلةً

مُستَلئماتٍ تُربكَ الدَرعَ والبَلَبــــا

تَحُفُّها من فُنُونِ الأيكِ زَاهِرةٌ

قد أورقت فِضّةً إذ أثْمَرَت ذَهَبَا

بَديعةُ المُلكِ ما يَنفَكُّ ناظِرُها

يَتلُو على السَّمْعِ مِنها آيةً عَجَبَا

وبهذا فقد عرف العمران في بلاد الأندلس ازدهارا وتطورا فكان بمثابة مرمرية ولم تكن الزهراء والزهرة وحدهما المدينتان الخلبتان في الأندلس بل هناك ما كان يسمى بالمنى ومنها منية السرور التي قال فيها ابن دراج الفسطيلي[1]

وكأن ريحان الحـــياة وروحها

مستَنشق منْ نَافحَات هَوائِهَا

فكأنما اصطفيت طلاقة بُشَرهَا

مِنْ أوجه الأحْبَاب يَوْمَ لِقَائِهَا

---

[1]-ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ، بيروت ، 1955، ص97 .

وكأنَّمَا أِخْتَارَ السرور مَكَانِهَا

وَطَناً فحل مخيماً بِفَنَائِهَــا

وَكَأنَمِا لــَمَعَتْ بَوارِقٌ مزنـــةٍ

حٌلِلَ الرِيَاضِ الحَو من عَصْرائِهَا

وكَأنما أُيدِي الصِيَاقَلِ بَيْنَهَا

هَزتَ سٌيٌوفَ الهِنْدِ يَوْمَ جَلائِهَــا

وعليه فإن هذه الفترة التي عاشها الأندلسيون كانت فترة عيش رغد ورخاء وجمال وتألق لا مثيل له.

ومن الطبيعي أن هذه القصور الفخمة كانت تسكنها جواري تزفه عن اصحابها عن طريق الشعراء والغناء فكن يتعلمن أصول الفن والغناء وأنشأ المنصور لهذا الغرض دار سميت بدار المدنيات وأشهرهن جارية لإبراهيم ابن الحجاج " قمر " التي عرفت بفصاحتها وبراعتها وجمالها الرائع ولم تكن الجاريات كلهن مغنيات بل هناك العاملات المتدينات ومنهن " عابدة ".[1]

[1]-عتيق عبد العزيز ، الأدب العربي في الندلس ، ط3، بيروت 1976، ص 163.

ومنهن من أنجبت أولاد فأصبح المجتمع الأندلسي يتكلم بلغتين هما الإسبانية لغة الأم والعربية لغة الأب.

وإذا جئنا للحديث عن المرأة في الأندلس فقد عرفت بأدبهن وثقافتهن الواسعة في شتى المجالات من علوم ودين فكانت منهن الشاعرة والمربية وخير دليل على ذلك كثيرة الشاعرات الأندلسيات فكان لها الحظ في التعليم والثقافة وجعلها تحتل مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي.

نذكر منهن قمر وعائشة القرطبية وزينب المريه ومريم بنت يعقوب الأنصاري وولادة شاعرة قرطبة.

الأخلاق والعلم في المجتمع الأندلسي :

نظرا للتقدم الكبير الذي عرفه المجتمع الأندلسي مما انعكس على طباعه في شتى المجالات، دين، علم، ثقافة، أناقة، نظام وتقديس للعلم.

فكانت للعلم والعالم مكانة كبيرة عند الأندلسيين فكان العالم يسعى جاهدا من أجل تحصيل العلم وكانت له مكانة وشأن عظيم في المجتمع، يحظى بالاهتمام البالغ ويذكر في المجالس فيصبح محل تقدير وإجلال لدى الجميع.

وتعد المساجد معاهد علم كان يذهب إلى العلماء فلم يكن المجتمع الأندلسي آنذاك يعرف المدارس بل كانوا يذهبون إلى المساجد قصد طلب العلم والعبادة، فكانت تلقن هناك مختلف العلوم من نحو، وفقه وحديث وأدب فكان لكل واحد مكانته العلمية إذ يقول المقري في هذا الشأن[1] << وإذا كان الشخص بالأندلس نحويا أو شاعرا فإنه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويظهر العجب >>

كما أحبوا الأندلسيون العمل وقد سوه وأعطوه مكانته وبطبيعة الحال لم يكن كلهم علماء بل منهم من أحب الحرفة والصناعة وتفنن فيها وأبدع وأتقنها.

كما عرف المجتمع الأندلسي بالتدين وإعطاء قيمة جليلة للدين فكانوا يعظمون الفقهاء، ويحترمون العلماء، وكان المسلمون من مذاهب أهل السنة وكان مذهبهم المالكي ولم يكونوا من المتعصبين بل تركوا الحرية لليهود والنصارى وفي اختيار عقيدتهم حتى أنه منهم من تقلد أسمى المراتب في المجتمع الأندلسي من طبيب ووزير وشاعر وهذا دليل على أن الأندلسيين لم يكونوا عنصريين بل على العكس من شدة تقدسهم للعلم كانوا يحطونه الأولوية بغض النظر عن الديانة أو العقيدة التي ينتمي إليها العالم.

1 – المقري : نفح الطيب ص 607.

أما عن الحياة الخاصة للأندلسيين فإنهم شعب عرف بحسن التدبير والتنظيم والنظافة ويقول المقري في هذا الشأن[1] << وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءا بالنظافة ما يلبسونه وما يفترشون وغير ذلك ما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عندهم إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو عن العين >>

كما أنهم كانوا يحسنون تدبير شؤونهم من غير إسراف أو تبذير فلم يكونوا كراماء ولكنهم عرفوا بالمروءة ومساعدة الغير قد المستطاع.

أما عن اللباس الأندلسي فقد عرفت بعض المدن الأندلسية بصناعة النسيج المطرز بزخارف ورسومات، وكانت هذه الصناعة تعرف رواجا في المشرق وحتى عند المسيحيين لجمالها فكانت ألبستهم تصنع من الحرير وخيوط الذهب، كما تصنع من القطن، على أن اللباس المعروف عندهم هو الطيلسان وهو ثوب موصول بع عطاء الرأس وفي الغرب كان الغطاء هو العمامة.

---

[1] – المقري : نفح الطيب، ص 608.

وبعد مجيئ زرياب الأندلسي غيروا نوعا ما في طباع لباسهم فجعل لباسا للربيع وأخرى للخريف ثم ملابسا للصيف تلائم حرارة الفصل وأخرى دافئة قطنية للشتاء .. وجعل لهم أوقاتا لارتداء ملابسهم الفصلية.

كما أضفى تغيرا في طريقة تصفيف الشعر وحتى في الطبخ غير في بعض التوابل التي كانوا يستعملونها في أطباقهم كما كان لزرياب أثر كبير في مجال الغناء والموسيقى وذلك بابتكاره لوسائل جديدة في الآلات الموسيقية وزيادته لوتر في العود. مما زاد شغف أهل الأندلس بالموسيقى والغناء[1] وبهذا فإن ما يقال عن المجتمع الأندلس انه مجتمع حضارة ورقي فقد ألم بجميع الجوانب الثقافية والدينية والعلمية والموسيقية والأخلاقية التي تجعل منه مجتمعا ساميا وراقيا لا ينسى عبر العصور، وتبقى سمات شعبه راسخة إلى عصرنا هذا فكثير من المجتمعات التي تسير على هذا النمط المعيشي.

[1]- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979، ص 83.

الفصل الأول

الفصل الأول : نشأة الموشحات والأزجال

I. الباب الأول

1- تعريف الموشح

2- بناء الموشح

3- نشأة الموشح

II. الباب الثاني

1- تعريف الزجل

2- بناء الزجل

3- أوزان الزجل

1) تعريف الموشح :

أ- التعريف اللغوي :

عرف ابن منظور الموشح ب << الموشح والوشحاء، والموشحة وديك الموشح إذا كان له خطتان كالوشاح، وبلموشحة من الضياء الثناء والطير التي لها طرتان من جانبيها >>[1].

وعرفه الزمخشري بقوله : << الموشح أو الوشحة، من الإيشاح و الوشاح، وهو حلي للنساء أو هو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، لتتزين به المرأة أو هو سير منسوج من جلد يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحبها والموشح إسم مفعول يدل على أن الناظم قد وضع منظومته على شكل وشاح >>[2].

وعرفه البلاغي أبو هلال العسكري : << بأنه أول الكلام دال على آخره وصدره يشهد بفجره >>[3] وعليه يمكن أن تعرف الموشح بمعنى اللباس بما فيه من زخرف وجمال .

---

[1] – ينظر فن التوشيح مصطفى عوض كريم ص 14، بيروت دار الثقافة، ص 93.

[2] – ابن منظور لسان العرب بيروت، دار صادر ط6، 1976 مادة وشح، ص 182.

[3] – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر (مختارات) القاهرة، ص 190.

وعرفه ابن سناء الملك بأنه : << كلام منظوم على وزن مخصوص وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام وفي الأول من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأفرع >>[1].

ب- التعريف الاصطلاحي :

حاول العديد من الدارسين تبيان مفهوم الموشح فأعطوه تعريفات متعددة من بينها تعريف ابن سناء الملك الذي يرى أن الموشح هو << كلام منظوم على وزن مخصوص >>[2].

كما عرفه محمد بن أبي شنب بقوله << الموشح قصيدة نظمت من أجل الغناء >>[3].

أما إبراهيم أنس فقد عرفه بقوله << وليست الموشحات قبل تلحينها إلا نوعا من الشعر البسيط >>[4] .

أما الصفدي فيرى أن الموشح << كلام منظوم على قدر مخصوص بقواف مختلفة >>[5].

---

[1] – ابن سناء الملك : دار الطرز في عمل الموشحات تحقيق د. جودت الركابي الطبعة الثانية ، دمشق 1977، ص 32.

[2] – دار الطراز ابن سناء الملك ، دار الفكر، ط$_2$، 1977،ص 25.

[3] – دار المعارف الإسلامية مادة التوشيح نقلا عن مصطفى عوض كريم، ص183 .

[4] – دار الطراز ابن سناء الملك ، دار الفكر، ط$_2$، 1977،ص25.

[5] – ابن العربي محي الدين: الديوان دار الكتب العلمية، بيروت، 1976، ص 43.

وعرفه مصطفى كريم الموشح ب : << التوشيح لون من ألوان النظم أول ما ظهر ظهر بالأندلس في عهد الدولة المروانية في القرن التاسع الميلادي ويتخلف عن غيره من ألوان النظم بالتزامه قواعد معينة من حيث التقفية وبخروجه على الاعاريض الخليلية وبخلوه أحيانا أخرى من ألوان الشعري وباستعماله لغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه وبالتصاقه الوثيق بالغناء >>[1].

وقد شرح الكندي بناء لحني متتالي ولا متتالي، أما النوع الثاني من الذي ليس متتالي المسمى الظفير والموشح لهم المبتدأ من نغمة ثم ينتقل منها إلى أخرى ثم إلى الصدور الأولى ثم ينتقل منها إلى أخرى خلف نهايته ثم كذلك حتى يوتى على نغم الجميع، ثم تكون النقلة وهذا الظفير يكون نوعين : أحدهما منفصل والآخر مشبك ... >>[2].

---

[1] – مصطفى عوض كريم: فن التوشيح ، ص 18.

[2] – عباس الجراري: الموشحات المغربية ، ص14.

2) سبب تسمية الموشح :

يقول المحي : << لأن خرجاته وأغصانه كالوشاح >>[1].

والوشاح بكسر الواو لا بضمها، والإشاح بكسر الهمزة وهو كرسان اللؤلؤ مخالف بينهما تتزين به المرأة.

<< والموشح إسم مفعول يدل على الناظم وضع منظومته على شكل الوشاح>>[2].

إذ يقول ذو الرمة :[3]

ترى الزُّلَ يكرهْنَ الرياحَ إِذا جرت

وميٌّ بها لو لا التحرجُ تفرحُ

إِذا حركتها الريحُ في المِرط أشرفت

روادفها وانضمَّ منها الموشَّحُ

---

[1] – مصطفى عوض كريم: فن التوشيح، ط2، بيروت 1974، ص 18.

[2] – مصطفى عوض كريم: فن التوشيح ، ص 18.

[3] – المصدر نفسه ، ص 19.

كما يقصد بالتوشيح التزيق والتنميق إذ يقول أبو بكر عمار :[1]

سيأتيك في أمري حديث وقد أتـــى

بزور بنـــي عبد العزيز موشح

والمقصود بالتنميق هو تنميق الأحاديث وقول الزور[2]

3) تسمية أجزائه :

تعود تسمية أجزاء الموشح إلى النقاد الذين حللوا أجزاءه وتأملوا في طريقة نظمه ووازنوا بينه وبين غيره من الفنون المنظومة وعلى رأس هؤلاء النقاد القاضي العيد ابن سناء الملك.

4) بناء الموشح :

يتكون الموشح من عدة أقسام وهي وحدات ينظمها الوشاح لتقديم إيقاعات منسجمة ولم يتعرض الوشاحين الأوائل إلى تسمية أقسام موشحاتهم وظل الوشاحون ينسجون على نسج القدمى حتى انتشرت الموشحات في الأندلس فدرسها بعض المؤرخين دون الوصول إلى تسمية موحدة لأقسامها ويرى ابن بسام << إن

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 19.

[2] – المصدر نفسه ، ص 21.

الموشحات الأندلسية اسم أطلق اسم المركز على القفل الأخير من موشحة في حين يسميه ابن سناء الملك الخرجة >>[1].

وأول من حدد هذه المصطلحات هو ابن سناء الملك فهو أول من صنف أصول الموشح.

ولعل أهم ما اتفق عليه الباحثون في أحكام الموشح ما يلي :

1- الموشح التام :

وهو موشح يتألف من ستة أقفال وخمسة أبيات وينقسم كالتالي :

أ) المطلع – المطلع :

وهو المجموعة الأولى من أقسام كما يسمى بالمذهب كقول صفي الدين الحلي [2]**:**

بروحي جُوذَرٌ في القَلبِ كانِس،　　　تَراهُ نافراً في زِيّ آنِس

وكقول أبي الحكم بن هردوس :

---

[1] – ابن قتيبة الدينوري: الشعر و الشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1966، ص83.

[2] – ابن قزمان أبوبكر: الديوان، تحقيق ف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1980، ص 99.

يا ليلة الوصل والسعــودِ   بالله عــودي

وهذا شكل بسيط

ومن نماذج الموشح التام قول الوزير أبو بكر بن زهر الحفيد الأندلسي :[1]

حَيِّ الوُجوهَ المِلاحا   وَحَــيِّ نُــجـــــــــلَ العُيــون

هَــل فـــي الهَوى مِن جُناحٍ

أَو فـــــي نَديـــمٍ وَراح

رامَ النَصوحُ صَلاحـــي

وَكَيفَ أَرجو صَلاحــاً   بَينَ الهَوى وَالمُجونِ

أَبكـــــى العُيونَ البَواكي

تِذكارَ أُخـــتِ السمـــاكِ

حَتّى حَمـــام الأَراكِ

بَكى بِشَجوي وَناحا   عَلى فُروعِ الغُصـــونِ

أَلقى إِلــَيها زِمامَه

[1] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 143.

صَــبٌّ يُــداري غَرامَه

وَلا يُطيقُ اِكتِتامَه

غَــدا بِشَــوقٍ وَراحـــا   ما بَينَ شَتّى الظُنون

يا غائِباً لا يَغيبُ

أَنتَ البَعيدُ القَريبُ

كَم تَشــتَكيكَ القلوب

أَثخنتهُنَّ جِراحاً   فَــاِسأَل سِهامَ الجُفونِ

يا راحِلاً لَم يودّع

رَحَلتَ بِالأُنــسِ أَجمَــــع

وَالفَجرُ يُعطي وَيَمنَع

مَرَت عَينَيكَ الملاحا   سِحر وَما وَدَّعونـــي[1]

[1]- المصدر نفسه، ص 143.

ب) البيت :

يتكون البيت في الموشح من الدور والقفل عكس القصيدة العربية التي يتكون البيت فيها من صدر وعجز، ويطلق ابن سناء الملك مصطلح البيت على ما يطلق عليه غيره مصطلح الدور، فيقول[1] << إنها أجزاء مفردة أو مركبة ملزم في كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات المواضع في أوزانها وعدد أجزائها لا في قوافيها بل يستحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر >>.

والبيت في الموشحة التي سبق ذكرها هو

هل فـــي الهـــوى من جنـــاح

أو فـــي نديم وراح

رام النصيح صلاحـــي

هذا البيت مفرد يتكون من ثلاثة أجزاء ويأتي بعد كل بيت قفل ويتفق مع المطلع في وزنه وقوافيه وقد يتكرر البيت في الموشحة خمس مرات.

والأبيات الأكثر انتشارا في الموشحات الأندلسية هي التي تتكون من ثلاثة أجزاء مفردة أو مركبة من فقريتين إذ يقول ابن سناء الملك[2] << والجزء من البيت

1 – ابن سناء الملك: دار الطراز ، ص 32 .

2 – المصدر نفسه، ص 34 .

قد يكون مفردا وقد يكون مركبا والمركب لا يتركب إلا من فقرتين أو ثلاث فقر وقد يتركب في الأقل من أربع فقر.

ج) القفل :

وهو مجموعة الأجزاء التي تتكرر في الموشحة ويتفق القفل مع المطلع في الوزن والعدد والقافية وتتكون الموشحة من ستة أقفال بما فيها المطلع في التام وخمسة أقفال في الأقرع.

وهو يتركب من شطرين مختلفين القافية وقد تتفق قافية شطري المطلع وكمثال على ذلك يقول ابن تقي الطليطلي في موشحته التي مطلعها[1]

أجرت لنا من ديار الخل   ريح الصبـــا عبرات الذل

يتألف المطلع من جزئين على الأقل وقد يتركب من ثلاثة أجزاء فأكثر

ومثال المركب من ثلاثة أجزاء إذ يقول ابن زهر الحفيد[2]

حلت يد الأمطار   أزرة الـــنوار

فـــيأخذني

- القفل المركب من أربعة أجزاء : كقول الأعمى التطيلي :

---

[1] – ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 31.

[2] – المصدر نفسه، ص 62.

أَدِرْ لنا أَكْــوَابْ يُنْسَى   بها الوَجْدُ واستصحبِ الجلاَّسْ

كما اقَتضَـــى الــــودُ

- القفل المركب من خمسة أجزاء [1] كقول ابن زهير

يا مَنْ أجود ويبخل   على شـــحّي وافتقـــاري

أهواك وعندي زيادة   منهـــا شوقي وادكاري

- القفل المركب من ستة أجزاء[2]

يقول الوشاح :

ميتات الدِّمَن   أحيين كربتي   وهل يتمكن

عـــزاء لقلبي   مت يا عزاه   شــــاه

- القفل المركب من سبعة أجزاء

والقفل الاول في الموشحة التي ذكرت هو :

وكَيفَ أَرجو صَـــلاحاً   بَيـــنَ الهَوى وَالمُجونِ

أَبكى العُيونَ البَواكي

- القفل المركب من ثمانية أجزاء[3]

[1] – ابن سناء الملك: دار الطراز ص 35.

[2] – المصدر نفسه، ص 36.

[3] – المصدر نفسه، ص 35 .

يقول ابن اللبانة :

على عيون العين رَعَى الدرّاري   مَنْ شُـــغِف بالحـــب

واستعذب العَذاب والتـــذّ حاليه   من أســـف وكرب

د) الجزء :

وهو الجزء الواحد من مطلع أو البيت أو القفل وتسمى الأجزاء عند بعض الباحثين أغصانا ويسمى الجزء الواحد سمطا فيقول ابن خلدون[1] : << استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا مختلفا واحد ، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد إلى آخر القطعة >>.

والسمط هو جزء من الدور، فيتكون من فقرة أو فقرتين فمثال ما كان سمطه مرتبا من فقرتين قول ابن اللبانة[2]

أَقِـــمْ عَذَرَي   فَقَدَ آنَ إنَ أعُكُـــفٌ

عَليَ خَمْرِ   يَطُوفٌ بِهَا أوْطَفَ

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، ط كاتر مير، باريس 1857، ص 143.

[2] – مصطفى عوض كريم: فن التوشيح، ص27.

كَــمَــا تــَدْرِي   هَضِيمُ الحشا مُخْطَف

ومثال ما كنا سمطه مرتب بين أربع فقرات قول القرار:[1]

بدرُ تــمِ   شمسَ ضَحَى   غُصْنٌ نَقَا   مَسْكٌ شَمَ

ما أتم   ما أوضحا   ما أورقا   ما أنَمّ

لا جَرَم   مَنْ لمحا   قد عشقا   قد حُرِمَ

ه) الخرجة :

هي القفل الأخير من الموشحة وتعتبر عنصرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه وتختلف الخرجة عن الأقفال باعتبارها الجزء الوحيد الذي يمكن تلحينه إذ يقول ابن سناء الملك[2] : << والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن حادة معرفة >>.

من مثال على الخرجة قول ابن اللبانة أثناء وفده إلى المغرب موشحة التي مطلعها :

كــذا يقتاد سَنَا الكوكب الوقّاد   إلى الجلاس مشعشعة الأكواس

---

[1] – المكصدر نفسه، ص29.

[2] – ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 40.

وفي خرجتها :[1]

بني عَبَّاد بكم نحن في أعياد وفي أعراس لا عدمتمو للناس

وكقول ابن زهر :[2]

نُـــورَهُمْ ذَا الـــذِّي أَضَـــا أَمْ مـــَــــعَ الركِبُ يُوشَعُ ؟

والخرجة ثلاثة أنواع :

الخرجة معربة الألفاظ وخرجة ملحونة الألفاظ عامية وخرجة أعجمية، وما يكثر في الموشحات الغنائية هو الخرجة العامية والأعجمية أما الخرجة المغربية فتتميز بها الموشحات الشعرية التي تقال في الغزل أو المدح.

ويفضل الوشاحون أن تكون الخرجة العامية مستمدة من ألفاظ عامة إذ يقول ابن سناء الملك[3] : << والشرط في الخرجة أن تكون من الألفاظ العامية، ولغات الداقة فإن كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من أبيات وأقفال خرج الموشح من أن يكون موشحا >>.

[1] – فوزي سعيد عيسى: الموشحات و الأجزان الأندلسية في عصر الموحدين، الإسكندرية، (د.ط) 1979، ص 183.

[2] – المصدر نفسه، ص 130.

[3] – إبن سناء الملك، دار الطراز، ص 30.

وكنموذج عن الخرجة المعربة، موشحة أبي بكر بن زهر يقول[1] :

كبـــدي حَــرّى ودمعي يَكفِ
يَعرفَ الذَنـــبَ ولا يَعْــترفُ
أَيهــَا المعْرٌض عَمَنْ أَصِفْ

وكذلك يقول ابن سبقي :[2]

إنما يحيى سليل الكرام واحـــــد الدنيا ومعنى الأنام

ويشترط في الخرجة أن تكون جزلة الألفاظ قريبة من الواقع.

وفي هذه الخرجات قول صلاح الدين الصفدي في موشح مطلعه : [3]

سال على الخدين منه العذار وما استدار ما أحسن الريحان في الجلنار

ومهد للخرجة بقوله :

وغَادَةَ تسبى بِشَامَاتِهَا
وَزوجُهَا يَدْرِي إِشَارَاتُهَا
أَنْكَرْتَ َيوْمَا ابْعضٌ حَالاَتِهَا

[1] – المصدر نفسه، ص 41.
[2] – المصدر نفسه ،ص 42.
[3] – أحمد محمد عطاء، الموشحات والأزجال، ص 18.

قُمْتَ تُنَادِي بَيْنَ جَاراتُهَا

ثم يأتي بالخرجة بعده وهي :

تعا ابصروا ماصابني ذا النهار   قال هو يغار   وطول عمرو   مثل تيس مستعار

وتختلف الخرجة المعربة عن العامية كونها تكسب باللغة الفصحى ولم يقبلها سناء الملك إلا بشرط أن يكون الموشح موشح مديح ويذكر فيه اسم الممدوح إذ قال :[1] << فإن كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما يقدمها من الأبيات والأقفال خرج الموشح من أن يكون موشحا اللهم إلا إذا كان موشح مدح وذكر إسم الممدوح في الخرجة سحين أن يكون الخرجة معربة >>.

ومع ذلك فالموشحون في العصور المتأخرة لم تلتزم بشرط ابن سناء الملك وكثيرا من الموشحات ما صيغت بالعربية ولم يذكر فيها اسم الممدوح وبالتالي فالخرجة تكون على حسب الموقف الذي يتعرض له الوشاح وكذلك الغرض الذي كتبت لأجله هذه الخرجات قول ابن اللبانة :[2]

شاهدي في الحُبّ حُرقي   أدمع كالجــــر تنذرف

---

[1] – ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 31.

[2] – عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف، دار الثقافة، ط5، بيروت 1978، ص 238.

ويصل إلى الخرجة بقوله :

يا حبيباً بات معتنقي   هــا أنا بالوصل مُعْتــَرفُ

والنوع الثالث هو الخرجة المقتبسة وهي الخرجة التي يقتبسها وشاح من وشاح آخر إذ يقول صلاح الدين الصفدي[1] : << واستقف في هذه الموشحات التي أوردها في كلامي، وفي بعضها خرجات، إن أنت أنصفتها عرفت أين تقع من شروط ابن سناء الملك وأنا ارتكبت فيها مزلتين وسلكت فيها زلقتين لأنني غالبا ما نظمته على وزن ما تقدمني وأتيت بخرجة غير خرجته، وهذا فهو أصعب ما يكون لأن الوشاحين يحصلون الخرجة أولا ثم ينظمون الموشح على وزنها وقافيتها >>.

ويقول لسان الدين الخطيب في الموشح الذي مطلعه :[2]

جادَكَ الغــيْثُ إذا الغيْــثُ هَــمى   يا زَمانَ الوصْلِ بالأندَلُسِ

لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُــما   في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

حتى يصل إلى الخرجة فيقول :

هلْ دَرَى ظبْيُ الحِمَى أنْ قد حَمَى   قلْبَ صبٍّ حلّهُ عنْ مَكْنِسِ

فهْوَ في خَفْقٍ وحَرٍّ مثلَما   لعبت ريحُ الصَّبا بالقَبَسِ

---

[1] – الصفدي صلاح الدين: الوافي بالوفيات، فيسبادن، 1961 ، ص 29.

[2] – المصدر نفسه ، ص 88.

وهذه الخرجة مطلع موشحة لابن سهل الإشبيلي وهي خرجة معربة لأن الموشح أخذ المطلع.

أما بدر الدين بن حبيب فقد أخذ خرجته من موشحة ابن قزمان الزجلية وجعلها خرجة لموشحته وهي خرجة عامية إذ يقول[1]

يا ستر برب غفور   كسيـــره لصحـــب السّحور

نشأة الموشح :

نشأ فن الموشح في أواخر القرن الثالث الهجري غير أن البعض شككوا في ذلك ودليلهم وجود موشحة في ديوان ابن المعتز العباسي يقول في هذه الموشحة :[2]

أَيُّـــها الساقي إِلَيـــكَ المُشتَكـــى

قَـــد دَعَوناكَ وَإِن لَم تَسمَعِ

وَنَديمٌ هِمتُ في غُرّتِـــه

وَشَرِبت الراحَ مِن راحَتِه

كُلَّما اِستَيقَظَ مِن سَكرَتِه

جَذَبَ الزِقَّ إِلَيهِ وَاِتَّكا   وَسَقاني أَربَعاً في أَربَع

---

[1] – المصدر السابق، ص 87.

[2] – عباس الجراري: موشحات مغربية، دراسة ونصوص، ص 43.

ما لِعَيني عَشيت بِالنَظَرِ

أَنكَرَت بَعدَكَ ضوءَ القَمَرِ

وإذا ما شئت فاسمع خبري

واستنادا إلى هذه الموشحة تم نسب فن التوشيح للمشرق ويقول كامل الكيلاني في هذا الصدد[1] : << لو لم يخترع الأندلسيون هذا النوع المسمى بالموشحات لاخترعه المشرقيون >>.

وقد أنشأ ابن المعتز هذه الموشحة في الوقت الذي اخترع فيه مقدم بن مغافر موشحته في الأندلس.

ولعل الأبيات التي أدت إلى اختراع هذا الفن نجد أن ابن خلدون يقول :[2] << وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناجيه وفتونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه الموشح >>.

ويرى فؤاد رجائي[3] << أن اختراع الموشحات كان أثرا من أثار زرياب>> وأن هناك شيئين جوهريين نقلهما زرياب من المشرق هما طريقة تطبيق الإيقاع الغنائي على الإيقاع الشعري وطريقة الغناء على أصول النوبة الغنائية>>.

فالموشح أندلسي النشأة وهو نوع من أنواع الشعر العربي وقد أجمع الأدباء على أن فن التوشيح من مخترعات الأندلسيين.

---

[1] – عباس الجراري: موشحات مغربية، دراسة ونصوص، ص 43.

[2] – المقدمة لابن خلدون، ص 583.

[3] – عباس الجراري: موشحات مغربية، دراسة ونصوص، ص 43.

كما ذهب المستشرقون الإسبان إلى أن الموشحات قد تأثرت بأغان عجمية وهذا يعود إلى طبيعة الأندلسيين الذين تعددت ألسنهم بتعدد أصولهم.

فالموشح يختلف عن الشعر المسمط وغيره من فنون النظم المشرقية لأنه صنع من أجل الغناء وأوزانه المستحدثة دليل على أنها تقليد لأوزان عجمية.

فالأندلس كانوا أحدق في تقليد الشعر الغنائي العجمي ويقول البستاني[1] : << إن العرب في إسبانيا قد سمعوا أنا شيد الجونكلير وهم جماعات غرفوا في القرن السابع والثامن وكانوا يطفون البلاد نساءا ورجالا ينشدون الناس أشعارهم في الطرقات فنبههم ذلك في استنباط أناشيد للغناء طليقة القوافي والأوزان تولد منها فن الموشحات >>.

ويستخلص البستاني أن الموشحات ليست عربية وإنما هي متأثرة بالأدب الإسباني.

في حين يرى ابن سناء الملك أن الموشحات يستطيع نظمها من غير تكلف إلا أولئك تشبعت أراوحهم بالأركان التي تقوم عليها الموشحات أولئم الذين ولدوا بالأندلس ونشأو بالمغرب.

ويرى ابن بسام أن أول من اخترع الموشحات هو محمد بن محمود القبري الضريري.

كما ورد في المقتطف أن عدة بن سعد هو من أوائل الوشاحين في الأندلس.

---

[1] – مصطفى عوض كريم: فن التوشيح ، ص 108.

ويرى أن الوشاح الأندلسي الوحيد الذي وصلت إلينا موشحاته هو عبادة بن ماء السماء إذ يقول << وكانت صفة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقها ووضعوا حقيقتها غير مرموقة البرود، ولا منظومة العقود فأقام عبادة هذا منادها وقوم ميلها وسنادها فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه واشتهر بها استشهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته >>[1].

وبالتالي فلم يصل إلينا من الموشحات إلا ما جاء في القرن الرابع الهجري أي ضاع ما أنتج قبل قرن من الزمن قبل عبادة بن ماء السماء هذا الأخير الذي استطاع أن يفرض فن الموشحات على المجتمع الأندلسي.

الوشاحون الأوائل في الأندلس

من أوائل الوشاحين في الأندلس محمد بن محمود القبري ومقدم بن معافي القبري وأبا عمر بن عبد ربه ويوسف بن هارون الرمادي الذي نظم موشحة مدح فيقول فيها :

مَن حاكمٌ بَيني وَبينَ عَذولي

الشَّجوُ شَجوي وَالعَويلُ عَويلي

[1] – ابن بسام الذخيرة : الذخيرة، ص 169.

ويعد ابن الرمادي من الأوائل الذين أكملوا فن التوشيح فلم تكن الموشحة قبله تعرف تضمين ولا أغصان إذ يقول ابن بسام[1] << فكان أول من أكثر من التضمين في المراكز يضمن كل موقف عليه في المركز خاصة >>.

ثم جاء بعده مكرم بن سعيد وابن أبي الحسن ثم عبادة بن ماء السماء إذ يقول فيه ابن بسام[2] << كان في ذلك العصر شيخ الصناعة واحكم الجماعة سلك إلى الشعر مسلكا سهلا فقالت غرائبه مرحبا وأهلا >>.

واكتملت صورة الموشح على يده إذا اعتمد مواضع الوقف في الاغصان فجعل الأسماط مكونة من فقرات فتعددت بذلك القوافي إلا أن موشحاته ضاعت ولم يبق منها إلا بيات يقول في إحداهما :

مَنْ واليَ، فيِ أمَة ولم يَعْدُلِ

يَعزل، إلا لَحَاظ الرَشَا الأكْحَــلِ

وجاء بعده بن عبادة القراز الذي يقول في موشحته نظمها في أصحاب المرية بني صمادح

وَلَوْ لَمْ أكُنْ عَبدًا لآلِ صَمَادِحِ وَفيِ أرْضِهِمْ أَصْلي وعَيْشِي وَمَوْلِدِي

[1] – ابن بسام : الذخيرة، ص 30.

[2] – المصدر نفسه، ص 40.

لما كان لي إلا إليهم ترحل وفي ظلهم أمسي اضحي وأغتـــــدي[1]

وبهذه الموشحة تحرر من عبوديته وأصبح حرا

أما في عصر الملوك والطوائف نجد الوشاح أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة الذي عرف بموشحات المدح التي يمدح فيها ابن المعتمد وهو في المنفى وكان يجيد شعر والقريض وينظم الزجل.

وكذلك من اشتهر في عصر ملوك الطوائف محمد أبو بكر أرفع وكان متصلا بمأمون صاحب طليطلة ويقول في إحدى موشحاته

العُودُ قَدْ تَرَنَّمْ ::::: بِأَبْدَعِ التَّرْنِينْ

وَشَقَّتِ المَذَانِبْ ::::: رِيَّاضَ البَسَاتِينْ

كما له موشحة مشهورة يتغنى فيها ببلاد المغرب

ومن الوشاحين كذلك أبو بكر الكميت الذي اشتهر في القرن الخامس الهجري ويقول في إحدى موشحاته :

سَرَى طَيْفَ الخَيَالِ مَنْ أَمْ جندَبَ

لتَجديدَ الوِصَال والعَهْــــد الأَولِ

فَطَال مَا مَنَعْتَ طيف خَيَالـــِــــهَا[2]

---

[1]- المصدر السابق، ص 40.

[2]- الأهواني عبد العزيز: الجزل في الأندلس، ص 143.

بالإضافة إلى ابو العامر بن الفرج قال فيه ابن سعيد بذله في التوشيح طريقة حسنة ومنهم بنت الكرام أم المعتصم ونجد أن هؤولاء الوشاحين يعدون من الدرجة الثانية والثالثة.

وبمجيء عصر المرابطين أصبح العديد من الشعراء ينظمون الموشحات ومنهم الأعمى التطيلي الذي برع في فن الموشحات ومن أشهرها موشحته التي مطلعها :

هل درى ظبيُ الحمى أن قد حمى   قلبَ صبٍّ حلَّه عن مَكنَسِ

ولعل آخر وشاح أندلسي هو ابن زمرك وقد اعتمد في موشحاته على صحة اللغة والنحو فجاءت موشحاته خالية من التكلف.

وبانتهاء عهد الموحدين أخذ الناس ينصرفون من فن التوشيح غلى فن الزجل بعض الموشحات الأندلسية.

الزجل

تعريف الزجل :

الزجل في اللغة هو الصوت ويسمى الحمام زاجلا لصوته الرخيم قال بان منظور في لسان العرب << إن الزجل بالتحريك اللعب والجلبة ورفع الصوت وخص به التطريب >>[1].

وعرفه صفي الدين الحلي << الرجل في اللغة الصوت ويقال صحاب زجل إذ كان فيه الرعد ويقال لصوت الأحجار والحديد والجماد أنها زجل >>[2].

وعليه فإن الزجل هو الصوت باختلاف مصادره.

والسبب في تسمية هذا النوع زجلا << أنه يلتذ به وتفهم مقاطع أوزانه حتى يغنى به ويصوت >>[3].

الزجل اصطلاحا :

هو ضرب من ضورب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب ولا يختلف عنه من جانب القافية. وبهذا يعتبر الزجل شعرا ملحونا ولغته لست عامية خالصة بل مهذبة بنوع من التعريب.

---

[1] – ابن منظور لسان العرب، مادة زجل، ص 183.

[2] – صفي الدين الحلي، العاطل الحلي، ص 9.

[3] – المصدر نفسه، ص 10.

عوامل ظهور الزجل :

يذهب الباحثون إلى أن الزجل ظهر متأخرا عن الموشح إذ يعد المرحلة الثالثة لتحول الشعر في الأندلس فالمرحلة الأولى هي مرحلة الشعر الفصيح ثم الموشح وأخيرا الزجل.

إذ بعد استيلاء البربر على الأندلس في عهد ابن تاشفين كان لابد من القضاء على الشعر ويظهر بدله شعر يسهل فهمهم لدى العامة فجاء الزجل معبرا عن خواطرهم ملتقيا مع عواطفهم.

وقد ظهر في هذا الفن زجالون كثيرون وعلى رأسهم أبو بكر محمد بن عيسى بن قزمان وكذلك أحمد بن الحاج المشهور بمدغلنيس وابن غزلة وابن جحدر الإشبيلي، وأبو زيد الحداد وأبو عمد الزاهد والحضار وقد كانت لهم داووين مماثلة لدواوين الشعر إلا أنه لم يصل لنا منها إلا القليل وذلك كون هذا الفن لم يحظى بالمكانة التي كان يحظى بها الموشح وبذلك لم يصل إلينا إلا ديوان بن قزمان إلى جانب ديواني أبي الحسن الششتري وأبي مدين شعيب التي تطرقت لدراسة الأزجال والوقوف على خصائصها[1].

أما المحدثون فقد اختلفوا حول مصادر الزجل فمنهم من يجزم بأن الزجل نشأ بتقليد الموشح ومنهم من يرى أنه مصدر للأغنية الشعبية التي تمزج بين اللفظ العامي والأعجمي ويعتقد شوقي ضيف أن الزجل قد نشأ مع الموشح مباشرة وربما

1- عتيق عبد العزيز:الأدب العربي في الأندلس، ص 122.

سبقه بقوله << ويمكن أن نقول أنها جميعا فن واحد ذو شعبتين شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة >>[1].

وكذلك من أسباب نشأة الزجل في الأندلس هو شيوع الموشح بين الناس فمجالس الأنس والغناء التي كانت لا تسمح للزجل أن يظهر دون التعرف على الشعراء الذين خططوا لظهور الموشح.

وكما يرى ابن خلدون أن الزجل نشأ تقليدا للموشح حيث قال[2] << ولما شاع التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلامته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا على طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فنا سموه الزجل والتزموا النظم فيه على من لهذا العهد فجاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه لبلاغه مجال بحسب لغتهم المستعجمة>>.

ولكن لا يمكن الجزم بأن العامة من الناس عندما عجزت عن نظم الموشح لجأت إلى نظمه بالعمية وسموه زجلا لأن من أنشأ الزجل هم مثقفون سبق وأن نظموا قصائد فصيحة وعامية أهل الأندلس كانت بعيدة عن اللغة الفصحى لاتصالها

[1] – شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 454.

[2] – ابن خلدون المقدمة، ص 404.

بلهجات متعددة كون أصولهم مختلفة ولو كانت لغة الزجل عامية لما انتشرت في العراق وبلاد الشام.

وفي هذا الصدد يقول صفي الدين الحلي[1] << أول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتها مجردة في أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يعايره تعبير اللحن العامي وسموها القصائد الزجلية >>.

وبهذا فصفي الدين الحلي يرى بأن الزجل لا يختلف عن القصيدة إلا من حيث اللحن.

والترنيم هو أصل الزجل وقد ظهر عند أوائل الزجالين باعتبار أن الزجل من فروع الموشح فنسج الزجالين على منوال الموشح ولم يستطعوا التخلص من الأعراب والانتقال إلى اللحن فأصبح الترنيم مذهبا في الزجل ومن الازجال التي قالها ابن قزمان[2].

حَبِيبِي كَبْشَ العيدِ أنَا حَرِيفُــكْ.
لِشْ تصطحِي تَنْفر ؟ أنا ضَعِيفُكْ.

---

[1] – صفي الدين الحلي : العاطل الحلي والمرخص الغالي، ص 13.

[2] – عبد العزيز الأهواني : الزجل في الأندلس، 83.

إشْ حَال جبينك إشْ حَالَ صَديقَكْ.

إشْ حَال شوایاتك إشْ حَال قَدِيدَكْ.

مَنْ يَرانِي ثَالثَ العِيد وَأنَا نَقْطَعَ ونَشْــوِي.

وتَرى كَبْشَ معلق والقطيطِيس تِحْتَ يَعْوِي.

وانَا نَصْهَل انَّ عُرْسَ مَاعِي أو عَقِيقَــة.

وبهذا فإن الزجل في عهد ابن قزمان كان مجردا من الإعراب فكانت معاينة طليقة وقد ذكر ابن قزمان في ديوانه أن الزجالين الذين سبقوه في صناعة الازجال الذين انتقدهم في النظم قائلا[1] : << ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين يجعلونهم في السماك الأعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجزل وهم لا يعرفون الطريق ويذرون القبلة ويمشون في التعذيب والتشريف يأتون بمعان باردة >>.

نشأة الزجل :

لا يختلف الزجل عن الموشح من حيث البناء فهو يتكون من خرجة ومطلع وبيت ومركز وبذلك فإن الزجل قد تفرع عن الموشح.

---

[1] – ابن قزمان أبو بكر: الديوان، ص 30.

وقد سمى ابن قزمان أجزاء الزجل أقساما ويقول في مقطوعة له [1]

أَي زَجَلُ عَلِمْتَ يَا قَوْمَ   فَتِنِ مَن نَظَرِ سَمْعِ
وأنَا مَطْبُوعُ وَلَكِــن   لَمْ تَقُل زَجَل يَطْبُع
عَشَرَ أَبْيَاتَ مِنْ شَطَاطِ   وثَلاَثَ أَقْسَامِ وتِسْعِ
فتَلطَعشْرِ هـــِــيَ دَابَ   عِدة أَبيَاتِ والأَقْسَامِ

كما يسمي البيت بالسطر كقوله[2]

فكَذاكَ لَيْسَ تَمَ زَجْلِ   أَنْ يَقَل ذَا التَسِعة السِطَارِ.

وعن أقسام الزجل كذلك ير صفي الدين الحلي[3] << وقد قسمه مخترعوه إلى اربعة أقسام يفرق بينها بمضمونها المفهوم، لا بالأوزان واللزوم فلقبوا ما تضمن الغزل والنسيب والخمري والهجاء وما تضمن المواعظ والحكمة مكفرا ولقبه شتتق من تكفير الذنوب >>.

---

[1] – المصدر نفسه، ص 650.

[2] – المصدر السابق، ص 626.

[3] – صفي الدين الحلي: المرخص الغالي، ص30.

ويتكون الزجل من أقفال وأبيات كالموشح << إن الشبه الكبير بين التوشيح والزجل في أكثر من ناحية وخاصة في الشكل الخارجي وفي الأوزان ونظام القوافي >>[1].

فيقول الشيخ علي بن مقاتل[2]

يا مليح الشباب يا حلو الشمايل

إنَّ عَيْنيْكَ تَعْمَل فِي قَلْبِي عَمَايلَ

فِيهَا فِتْــــرَة تَخْطرُ لَمَن بِهَا يَجْهَلُ

إنَّهَا سَهْلَةُ وَالمُنُونِ مِنْهَا أسهل

وأربَابَ الَفضْلُ والتشَابيه يا شَهْلُ

قَالُوا عَيْنَيْكَ نَرجسٌ وصَدغِيكَ خَمَايلَ

صبَتْهَا أسْيَافُ مُعقربَاتِ الحَمَايلِ

مَنْ ذَا يَحْملُ حُورَ العَوينَاتُ بِتَاعِكَ

وأنتَ سُلطَانُ عَلَى المَعَاشِيقِ وَمَاعَكَ

رُمْحُ قَامَةَ بلْيُنِهَا اشْتَدَ بَاعِــكَ

---

1 – عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، ص183.

2 – المصدر نفسه، ص 184.

وحواجتب قَسَــي علـَـــــى جَفْن نَابلِ

سَهْمَهَا أنفذ َفِي القَلْبِ مِنْ سِحْرِ بَابلِ

قَلي إنسَانَ هَذَا الذِّي تَثْنِي عَنُو

وتَقُولُ فِي مَديحِكَ أُنو وأنُو

مَا رَأيْتَ فِي المَلاَحِ مَليحَ أحلاَمَنُو

قُلتُ لَو لاَ فِتْشَ وقَايسَ وَقَابلُ

وعلَى هينَتكَ هَذَا العَامَ وقَابِلَ

رَاحَ عُذُولِي كَمَا وصَيتُو وجَانِي

وقَال اللهُ مَحْبُوبَكَ ابْن الفُلانِي[1]

قلت: هُوَ هُوَ ومِن بَعْشِقُو بَلاَنِي

قُلِي ذَاكَ الذِي ألَفَ قُــدوَ مَايْلَ

عِنْدَ صُحْبيَ المعشوق فَلَيْسَ لَو مُمَاثِلَ

مَوطا خَلقُو مَليحَ ومَا أعلا قِدرُو

وَمَا أتْرَفَ صَدرُو المَبْرزُ فيِ خَدرُو

قَلَي قَلي وَاشْ وَصَلَكْ إلى صُدُرِو

1- المصدر السابق، ص 133.

قُلت نهديه ممزقات الغلايل

هي المَدلةِ وكُلَ شــَيء لِرَدلايلَ

قَالوا خَسفتُكَ عَن مرتعكَ نَافِرَ

واشْ قَدْ زَادَ نظرة عليك وانْتَ صَابِرَ

قُلْتَ يَا مَنْ أنَانِي عَاذِلُ وَعَاذِرَ

لمُحِبَ الصِدْق إذا كانَ مَفَاضِلَ

يَخْرج ان يَصِيَر إلَى ان يُواصِلَ[1]

يعد هذا الزجل زجلا تاما يتكون من سبعة أقفال وستة أبيات وهو من أبسط صور الزجل وأجزاؤه كالتالي :

1/ المطلع : وهو القفل الأول في الزجل

يا مليح الشباب يا حلو الشمايل

إن عينيك تعمل في قلبي عمايل[2]

وعدد الأزجال التي اتفق فيها المطلع مع الأقفال 23 زجلا ومن اختلف فيما المطلع مع الأقفال 17 زجلا وتأتي صور من أنفق فيما المطلع مع القفل كالتالي :

---

[1]- المصدر السابق، ص 134.

[2]- ابن العربي محي الدين: الديوان، ص 83.

أ ـــــــــــــــــــ ـــــــــــــــــــــــــــــ ب

أ ـــــــــــــــــــ ـــــــــــــــــــــــــــــ ب

« المطلع متفق في التقفية الخارجية ومختلف في التقفية الداخلية وقد تابه التقفية الداخلية الخارجية وتكون كالتالي : أ ـــــــــــــ ـــــــــــــ ب»[1]

2/ القفل : قد لاتتفق الأقفال في عدد الأجزاء فيأتي القفل الأول مطلعا مكونا من أربعة أجزاء وبقية الأقفال والخرجة مثله أو يأتي المطلع مكونا من جزئين وكذلك الأقفال والخرجة وقليلا ما يأتي المطلع مكونا من أربعة أجزاء والأقفال والخرجة مكونة من جزأين ويأتي المطلع مكونا من جزئين والأقفال والخرجة مكونة من جزء واحد.

أجزاء الأقفال :

القفل في الزجل السابق :

قالوا عينيك نرجس وصدغيك خمايل

صبتها أسياف معقربات الحمايـــل[2]

والقفل مكون جزئين متفقين في التقفية الداخلية والخارجية

قد هوى قلبي معيشق حبشي أسمر أهيف

يخجل الغصن الرشيق كيف لا تعشق ونتلف

1- الحلبي شهاب الدين:حسن التوسل على صناعة الترسل، ص 102.

2- ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 30.

ثم مطلع القفل الأول :

يتخاطر دعني نشـــق   في وصالوا ونيف

ما نقول لك شي سوى الحق   قد قتلني ذا الوصف[1]

المطلع والتقفية والخرجة متفقة في الأجزاء الداخلية والخارجية.

ومن صور الزجل :

أ ____________   ____________ ت

ب ____________   ____________ ت

أ ____________   ____________ ب

كقول ابن النبيه في الزجل والذي مطلعه[2]

الزمان سعيد مواتـــي

والحبيب حلو رشيـــق

والربيع بساطه أخضر

والشراب أصفر مروق

1- المصدر نفسه، ص 31.

2- الحميدي: جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 173.

ثم مطلع القفل الأول :

والهزار يعمل طرايق

في الغنا مزموم ومطلـــق

المطلع مركب من أربعة أجزاء مختلفة في التقفية الداخلية متفقة في القافية الخارجية وأتت الأقفال والخرجة مكونة من جزئين مختلفين في التقفية الداخلية والخارجية.

الصورة الثالثة :

أ ____________ ____________ أ

أ ____________ ____________ ب

مقول ابن حجة الحموي في زجل مطلعه[1]

حبي واصل ناديت لو حين راد يَفَاصِلُ

لا تقاطع بالحرمة يا حبي وَاصِلُ

ثم يأتي القفل الأول :

كم تجي عرض لاصطباري تُحَـــاوِلٌ

لله أقصر لا كمْ في عَــشْــقِـــي تَطَاوُلِ

---

[1] – عبد العزيز الأهواني : الزجل في الأندلس، ص 140.

المطلع والأقفال والخرجة متفقة في عدد أجزاء والتقفية الداخلية والخارجية.

وقد تأتي التقفية مختلفة كقول ابن قزمان :[1]

عينيك بحال الجيوشْ   حِينَ تَهُوشْ

ثم يأتي القفل الأول :

مــا كــنّو إلا طِرا   ز النقوشْ

الصورة الخامسة :

أ ____________   ____________ أ

أ ____________

وهذه الصورة تأتي في البلقيات وهذا بليق مطلعه

طلقني رُوحَ من وِشْـــيَ   مَا حَبَكَ مَا وَلالِيٌ فِيكُ شَيَ

3/ البيت : والأبيات تأتي في الأزجال مفدرة لا مركبة ويجب أن تتفق مع بقية أبيات الزجل والبيت في الزجل السابق[2]:

فِيهَا فَتْرةُ تَخْطرَ لِمَن بِهَا يَجْهَلُ

إنَّهَـــا سَهْلَةً والمَنُون مِنْهَا أسْهَـــلُ

ورَبَابَ الفَضْلُ والتَشَابِيهَ يَا شَهْلٌ

[1] - المصدر نفسه، ص 141.

2- ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 41

الصورة الأولى :

وهي أبيات مفردة مكونة من ثلاثة أجزاء مفردة كقول ابن حجة الحموي[1]

يا عُذَارو عليشَ تَسيلَ عِنْــدَ ذَكَــرُو

ويَا رُدفُو بسك تَزيدُ عَلَى خَصـُـرُو

ويَا طُرفُوكُم ذَا الكَسَلِ وأنْتَ يَا شعْرِو

الصورة الثانية :

أبيات مفردة مكونة من جزئين مفردتين كقول ابن قزمان[2]

ولك عذار فـــي الــورى

ليس بالله مثلو يـــــــرى

1 – عبد العزيز الأهواني : الزجل في الأندلس، ص 44.

[2] – المصدر نفسه، ص 46.

الصورة الثالثة

____

____

____

وهي أبيات مفردة مكونة من 4 أجزاء كقول علاء الدين بن مقاتل[1]

قلبي بحبو تيّـــاه

ليـــس يعشق الاّ ايّـــــاه

فاز من وقف وحيّـــاه

يرصد على محيّـــــاه

الصورة الرابعة :

________ ____________ ____________

وهي أبيات مركبة من فقرة وثلاث أجزاء كقول أبي العلاء بن مقاتل[2]

جا الرسول من عند حبي لي بشير بقرب قرني مرتي وسر قلبي

[1] – عبد العزيز الأهواني : الزجل في الأندلس، ص 52.

[2] – المصدر نفسه، ص 143.

الصورة الخامسة :

أ ــــــــــــــ ــــــــــــــ ب

ب ــــــــــــــ ــــــــــــــ ب

ج ــــــــــــــ ــــــــــــــ ب

وهي أبيات مكونة من ثلاثة أجزاء مركبة

كقول الأديب الذهبي[1]

في كوانين حشاي أطلق نار تزيد حربـــي

ولقتلى تتصب نصبه غبت عن حضرتـــي

وعلى حر جمر هجرانو قد طيح قدرتـــي

أبيات مكونة من ثلاثة فقرات مركبة من جزئين مختلفة في التقفية الداخلية ومتفقة في التقفية الخارجية.

الصورة السادسة :

ــــــــــــــ أ ــــــــــــــ ب

ــــــــــــــ ب ــــــــــــــ ب

[1] – المصدر نفسه، ص 143.

ـــــــــــ ج ـــــــــــــــــ ب

ـــــــــــ د ـــــــــــــــــ ب

كقول النواجي[1]

جل منسته ما وظين ما احلاه   وارشق القــوام

أي معيشق لو ألف تسويقة   كل يوم في الأنـــام

كم كروكم صانع   ولايخشى مـــــــــــلام

ولا يعرف إيلا دقيق مــــن بيــن   حجرته والسلام

فالأجزاء الأول أطول من الأجزاء الثابتة

الخرجة :

وتمتاز خرجات الأزجال بالبساطة حتى لا تشبه حديثا عاديا يومها بخلاف خرجات الموشحات، وأتت الخرجات على شكل وأحد خرجات عامية وقد أخذ الوشاحون الخرجات ونظم عليها موشحاتهم.

والخرجات التي اقتبسها الزجالون من الوشاحون تكون بالعامية وقد يأخذ الزجال خرجة من الموشح قد تكون معربة وقد تكون الخرجة القفل نفسه لفظا ووزنا الذي تكرر في جميع المقطوعات.

[1] – عبد العزيز الأهواني : الزجل في الأندلس، ص 63.

كما تسمى الخرجة مركزا وذلك لاهتمامهم البالغ لها فقد كان بن قزمان يولي الخرجة اهتماما حتى أنه كان ينسب الزجل إليه فيقول << هذا زجل قزماني >>.

أوزان الزجل :

من المعلوم أن الموشح كان سببا في ظهور الزجل فمن الطبيعي أن تكون أوزان الزجل من أوزان الشعر العربي لكن ليست كلها مطابقة للبحور الشعرية فمنها ما يطابق الأوزان الخليلية ومنها ما هو فرع منها وهو الطابع الغالب على الأزجال الأندلسية.

وبما أن الأزجال أوزانها متفرعة من العروض فهي عربية خالصة.

<< يرى صفي الدين الحلي أن الزجالين الأوائل جعلوا الأزجال قصائد وأبياتا مجردة في أبحر العروض العرب وهذه القصائد لما كثرت واختلفت عدلوا عن الوزن الواحد العربي إلى تفريع الاوزان المتفرعة وتصنيف لزومات القوافي وترتيب الأغصان بعد المطالع والخرجات بعد الأغصان إلى أنصار فنالهم بمفردهم >>[1].

وهذا يعني أن الزجل نظم على نمط الموشح التي نظمت على البحور الخليلية وعليه فإن الأزجال الأولى جاءت على أوزان الأعاريض الخليلية قبل أن تتنوع وتتفرع.

[1] – صفي الدين الحلي : العاطل الحالي، ص 170.

<< ويرى ابن حجة الحموي أن الزجالين أضافوا إلى البحور الشعرية بحرا آخر من الأوزان والزجل أوزانه متجددة ولكنها غير جائزة في الشعر لخروجها عن البحور الشعرية >>[1].

<< كما يرى ابن خلدون أن المتأخرين كانوا ينظمون الأزجال على سائر البحور المعهودة لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي >>[2].

واختلفت أجزاء الأبيات من حيث الطول والقصر، فهو يبني البيت الواحد على عدة أوزان وقوافي.

وينشئ الزجل على أكثر من وزن وكانت تأتي بعض الأجزاء على وزن والأجزاء الأخرى على وزن آخر.

وبالتالي فالزجالون اعتمدوا على التنويع في الوزن و جددوا في الأعاريض وجعلوها خفيفة التي تخدم غرض الغناء غير أنها لم تخرج عن نطاق التفعيلة العربية. وبالتالي فإن أوزان الأزجال غربية الأصل.

لغة الزجل :

أول ما استهل الزجالون أزجالهم اللغة الفصحى لأنه كان آنذاك من اختصاص الطبقة المثقفة التي نظمته على منوال الموشحات ثم بدأت تتسرب غليها اللهجات الأندلسية حينما تقتضيه ضرورة الوزن والغناء وعليه فلم يستطع الأوائل التخلص من

---

[1] – ابن حجة الحموي : بلوغ الأمل، ص 98.

[2] – ابن خلدون : المقدمة، ص 411.

الاعراب إلى أن جاء أبو بكر بن قزمان الذي مهد الطريق إلى العناصر اللغوية العامية التي غزت اللغة الفصحى في الزجل إذ يقول ابن قزمان[1].

<< وجردته من الإعراب وعربته من التحالي والاصطلاحي تجريد السيف عن القراب >>.

وعليه فإن لغة الزجل يتألف من لغة غير معربة بالإضافة إلى عناصر لغوية أندلسية اختلطت فيها لهجات مغربية مع مشرقية والظين نظموا الزجل هم مثقفون الذين لجأوا إلى هذه العناصر العامية وهذبوها باعتبار أن الزجل يخضع للوزن والقافية كما أن النطق في اللهجة الأندلسية يختلف عن الزجل فيظهر التغير في آخر الكلام أو حركات الإعراب وهذا ظاهر في الأزجال الأندلسية.

ومثلما جاء في الترنيم في الموشح فقد جاء في الزجل أيضا فهو اللحن في الموشح والإعراب في الزجل.

والزجالة الأندلسيين لم يولوا اهتماما العجمية الأندلسيين ولذلك لا نجد خرجة عجمية في الزجل وعليه فإن لغة الزجل غير معربة فيلجأ الزجال إلى الفصح بدلا من الالفاظ العجمية كما أنه لا يمهد للخرجة بألفاظ تدل على أن الزجل فد أوشك على الانتهاء.

ولقد اهتم المشرقيون بالأزجال الأندلسية خاصة ديوان ابن قزمان باعتبارها ذروة الشعر العربي ونتصف واقع المجتمع الإسلامي.

---

1 – ابن قزمان : الديوان، ص 1.

ولقد ذهب البعض إلى اللغة التي نظم بها الزجال ابن قزمان أزجاله لغة رومانثية من اللهجات الإسبانية كان يتحدث بها الأندلسيون كانت هي اللغة الدارجة عندهم وأكد الباحثون أن هذه اللغة فعلا كانت مستعملة عند أهل الأندلس كانت في حديثهم اليومي الرومانثية والعامية اللاتينية لكنها لم تكن في خرجات الزجل بل استعملا ألفاظا مها نظر شيوعها في ذلك العصر.

كما استخدم ابن قزمان اللهجة العجمية في بعض الأسطر منها قوله[1]

يا مطرتن شلباط

من حزين تن بناط

ترى اليوم واشطاط

لم تذق فيه غير لقيمة

ومعنى هذه المقطوعة :

وَاحَسرتَاه كَمْ أنَا مَهْمُومُ

مَا أحْزَنَنِي وَمَا أشْقَانِي

تَرَى اليَومُ وَطَولٌــهُ

لِمَ أذق غير لقيمـــة

---

[1] – ابن قزمان : الديوان، ص 70.

وما جاء به ابن قزمان هو حديث عادي كان يجد فيه صبغة عندما يضفيه على أزجاله وكان في أزجاله التي يخاطب فيها النصارى يستخدم بعض ألفاظهم كقوله مخاطبا أحد ملوك الشمال[1].

والنَصَارَى كَالمَداد ونَحْنُ مِثْلُ القُطُونُ

والعَلامَاتِ والطُبُولِ والنَّوَاقِشُ والقُرُونَ

وابن رَذَمِــيــرُ يَقُّولُ يَسْتَرَى يَا بَرونَ

صِدْقُ الوَلَدِ زنَا الحُــروبَ تُــمَيِّــزُ

وعليه يمكن القول بأن لغة الزجل هي لغة مفهومة لدى عامة أهل الأندلس وهي لغة مهذبة سادت الزجل منذ نشأته إلى غاية القرن السادس الهجري.

---

1 – ابن قزمان : الديوان، ص 558.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: موضوعات الموشح والزجل

أ- الغزل

ب - الخمر

ج - وصف الطبيعة

د - المدح

هـ الرثاء

و - الأغراض الدينية والتصوفية

ي - الهجاء

موضوعات الموشح

لقد جعل الوشاحون موضوعات الشعر القديمة ميادين لموشحات فنظموا في جل الأغراض التقليدية من الغزل الذي كان في بادئ الأمر موضع رئيسي لتوشيحاتهم وسرعان ما ارتبط بالخمر الذي يقبل عليه شاعر الغزل حتى صار موضوعا والحد وبما أن الخمر والغزل كان يضفيان مجالس آنس ومناظر جذابة كان لابد للوشاح أن يستمتع بجمال الطبيعة فيقيم مجالسه في أحضان طبيعة ساحرة تسره فارتبط موضوع الموشحة بوصف الطبيعة.

وعليه بدأت الموشحة تفسح لها مجالا في الأدب حتى صار الوشاحون يشاركون في المناسبات كالعيد أو مرض أو تهنئة أو عزاء فبات من الطبيعي أن تكتسي الموشحة طابع المديح تارة وطابع الرثاء تارة أخرى والهجاء والزهد ....الخ من الأغراض المألوفة عند الشعراء القدامى[1].

وبذلك أنشأ الوشاحون تواشيح بارعة كان لها مدى كبيرا في مجال الفن والأدب فحاكت الشعر بنمط طريف رقيق، عذب سهل الفهم قريب من السامع من

---

[1]- ابن بسام: الذخيرة، ص 468

ألمع وأبرز تصدر قائمة الوشاحين ابن زيدون ابن خفاجة، والمعتمد بن عباد، وابن دراج.

أ- الغزل :

لعل أول من ميدان استهل بن الوشاحون موشحاتهم هو الغزل وأكثر موشحات هي موشحات غزلية وهذا ما يؤكده ابن قسام في قوله[1] << وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونا الجيوب بل القلوب >>.

أما الموشحات التي قيلت في الغزل فتنقسم إلى قسمين قسم يشتمل الغزل وحده وقسم آخر جمع بين الغزل وأغراض أخرى كالخمر ووصف الطبيعة والخمر ومن وشاحين الغزل الأعمى التطيلي وابن زهر الحفيد وابن سهل الإشبيلي وعبادة بن ماء السماء صاحب الموشحة الآتية :[2]

من ولي في أمة أمراً ولم يعدل　　　يعـــزل إلا لحاظ الرشأ الأكحل

جرَت فِي　　　حكَمك فـــِي قَتلي يَا مُسْرفُ

فانَفُ　　　فواجب أن يَنْصِف المَنْصِـــفُ

---

[1] – ابن بسام : الذخيرة، ص 469.

[2] – غازي السيد مصطفى: ديوان الموشحات الأندلسية، الإسكندرية، منشاة المعارف، د ط 1979، ص 418.

وَارَأَفَ			فإن هذا الشَوْقِ لا يـــَرْأَفَ

علل قلبي بذاك البارد السلسل		ينجلي ما بفؤادي من جوى مشعل

إنمَا			تبرز كِــــي تُوقِدَ نَارَ الفُتْــنِ

صنِماً			مَصُوراً فِي كُلِ شَيءٍ حُسُــنٍ

إن رمى			لم يخط من دون القلوب الجنن

كيف لي تخلص من سهمك المرسل		فصل واســتبقني حياً ولا تقــتــل

يَا سَنـــا			الشَمْــسُ ويَـــا أَبهَا مَن الكَوكَـــــبِ

يـَــا مَنـــَى			النَفـــْسِ ويَا سُؤلِي ومَطْلَبـــِـــي

هــَـــا أَنَا			حَلُ بأعْدَائِكَ مَا حَلَ بِـــي[1]

عذّلي من أَلَمَ الهَجران في معزل		وَالخَلي فِي الحَبِ لاَ يَسْأَلٌ عَمَنْ بَلَي

أَنْتَ قَد			صُيرتُ بالحُسْنِ مِن الرَشْدِ غَي

لـــَمْ أجِـــدْ			فِي طَرُفِي جُبكَ ذَنَباً عَلي

فاتئد			وإن تشأ قتلي شيئاً فشـــي[2]

أجمِلِ ، ووالني منك يد المفضل		فهي لي من حسنات الزمن المقبل

مـــا اغتذى طرفي إلا بسنا ناظريك

---

[1]- المصدر السابق، ص 419.

[2]- ابن سنا الملك: دار الطراز، ص 43.

وكذا في الحب ما بي ليس يخفى عليك

وكذا أنشد والقلب رهين لديــــك[1]

يا علي سللت جفنيك على مقتلي فابق لي قلبي وجد بالفضل يا موئلي

ما يلاحظ على هذه الموشحة أنها كثيرة الصنعة والتكلف وهذه السمة العامة للموشحات في بدايتها.

وكذلك من أشهر الوشاحين في مجال الغزل الأعمى التطيلي الذي برع في هذا اللون إذ يقال أنه أجريت لقاءات بين الوشاحين لإجراء مقارنات بين موشحاتهم.

وما إن أكمل الأعمى التطيلي موشحته قام كل وشاح بتمزيق موشحته وذلك إجلالا للتطيلي وإعجابا بموشحته التي نصها كما يلي[2]

ضاحك عن جمان سافر عــن بــدر

ضاق عنه الزمان وحواه صـــدري

آه مما أَجِدْ شفنّـــي ما أَجْـــــدُ

قام بي وقعد باطشٌ متئِـــدُ

[1]- المصدر نفسه، ص 48.

[2] – ابن خلدون : المقدمة، ص 340.

كلّما قلت قدْ قال لي أَين قـــــدُ

وانـــثـــنى خُوطَ بـــان ذا مهَـــزٍّ نَضْـــرِ

عابثته يدان للصَّبا والقَطْـــرِ

ليس لي منك بُدّ خذ فؤادي عن يد

لم تدَعْ لي جلَـــد غيـــر أَني أَجهد

مُكرع من شُهْـــد واشتياقي يشهد

ما لبنتِ الدنان ولذاك الثَّغـــر

أَين مُحيّا الزمان من حُميًّا الخمر

بي هوىً مضمرُ ليت جهدي وَفْقُه

كلما يظهـــرُ ففؤادي أُفقْـــهُ

ذلك المنظرُ لا يُداوي عشقُه

بأبي كيتف كان فلكيٌّ دُرِّي

رَاقَ حَتى استبَانَ عَذْرهُ وَعُذرِي

هل إليك سبيل أو إلى أَن أَيأسَا

ذُبت إلا قليلْ عَبْرَةّ أو نَفَسا

ما عسى أن أقول ساء ظني بعسى

وانقضى كل شان   وأنا أَســـتَـــشْري

خالِعاً من عِنان   جزعي وصبري

مَا عَلـــى يَلُومُ   لَو تناهى عّنَي[1]

هل سوى حُبّ ريم   دينه التجني

أنا فيه أهيم   وهو بي يغني

قد رأيتك عَيان   لَيْسَ عَلَيْكَ سَاتدري

سايطولُ الزَمَانَ   وستُنسَى ذَكري

وكذلك من الموشحات الغزلية قول ابن زهر[2]

شمس قارنت بَدرُا   رَاحَ ونَديم

أدُرُ أكؤس الخَمْرِ

عَبقريةٌ النَشُرُ

إن الرُوضُ ذُو بَشر

وقَد درع النهرا   هُبُوبَ النَسِيم

وَسَلَت على الأَفَقَ

[1]- المصدر السابق، ص 343.

[2] – ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 51.

يدُ الغربِ والشَرْقَ

سُيوفًا مِن البَرْقِ

وقَد أضحَك الزَهْرَا   بَكَاء الغُيومِ

ألاَ إنْ لِي مَولَى

تَحكمَ فاسْتَولَى

أمَا إنَه لَوْلاَ

دُموعَ تفْضَح السِرَا   لكنت كَتُومَ

وفي هذه الموشحة مزج الوشاح بين الخمر والوصف والغزل فذكر الخمر ووصف مجالسها ثم راح يصف الطبيعة وختم موشحته بالغزل.

فما يلاحظ على غرض الغزل أنه لم يكن غزلا بحثا وإنما اهتم الوشاحون بالبناء والزينة اللفظية والأوزان والقوافي وأهملوا البعد الوجداني.

ويعد إبراهيم بن سهل من أبرز شعراء الغزل إذ استطاع أن يشد انتباه الناس والنقاد إليه وذلك لعذوبة وجمال شعره وموشحاته التي طرق فيها أجمل المعاني ويقول في إحدى موشحاته[1]

[1] – مصطفى عوض كريم : الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 412.

هل درى ظبيُ الحمى أن قد حمى

قلبَ صبٍّ حلَّه عن مَكنَسِ

فهو في حرٍ وخفقٍ مثلما

لعِبَتْ ريحُ الصَّبا بالقَبَسِ

يا بدوراً أطلعتْ يومَ النوى

غرراً تسلكُ بي نهـــجَ الررْ

ما لنفسي وحدها ذنبٌ سوَّى

منكمُ الحسنُ ومن عيني النظرْ

أجَتنِي اللذاتِ مكلومَ الجوَى

والذاذي من حبيبي بـــالفكرْ

و إذا أشكو بوجدي بسما

كالربى والعارضِ المنبجـــسِ

إذ يُقيمُ القَطرُ فيه مأتـَــما

وهيَ من بَهجَتِها في عُرُسِ

غالِبٌ لي غالِبٌ بالتُّؤدَهْ

بأبي أفديه من جـــافٍ رقيقْ

ما علمنا قبلَ ثَغرٍ نَضَّدَهْ

أقحوانـــاً عصرتْ منه رحيـــقْ[1]

أخذتْ عيناهْ منها العربدهْ

وفـــؤادي سُكرُهُ ما إن يُفِيقْ

فاحمُ اللمةِ معولُ اللمى

ساحرُ الغُنجِ شهِيٌّ اللَّعَسِ[2]

حسنهُ يتلو " الضحى " مبتسما

و هوَ من إعراضه في " عبسِ"

أيها السائلُ عن جُرمي لدَيهْ

لي جزاءُ الذبِ وهوَ المذنبُ

أخذتْ شمسُ الضحى من وجنتيهْ

مَشـــرِقاً للشمسِ فيه مَغرِبُ

ذَهَّبَتْ دمعيَ أشواقي إلَيْهْ

وله خَدٌّ بلَحظي مَذهَبُ

يُنبِتُ الوردَ بغَرسي كُلّما

---

[1]- المصدر السابق، ص 413.

[2]- مصطفى عوض كريم: الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه، ص 413.

لحظتْـــهُ مُقلتي في الخُلَسِ[1]

ليتَ شعري أيّ شيءٍ حرما

ذلك الوردَ على المُغتَرِسِ

كلّما أشكُو إِليهِ الحَرْقـــِي

طَارَحْته مُقلتَاي دَنْفَا

تاركتُ ألحَاظَهُ مِـــنْ رَمْقِي

أثَر نَمْلِ عَلَى صَم الصَّفَاءِ

و أنَا أشْكُرُه فِيمَا بَقَي

لَسْتَ أحَاه عَلَى مَا سَلَفَا

وهو عنْدِي عَادَلَ إنْ ظَلَمَا

و عُذُولِي نَطْقهُ كالأخْرَسِ

ليس لي في الأمر حكم

بعد ما حلّ بالنفس محلّ النفس

أنفدَتْ دمعيَ نارٌ ف ضرامْ

تَلْتظي في كلِّ حِينٍ ما يشا[2]

[1]- ابن سناء الملك: دار الطراز، ص 103.

[2]- المصدر السابق، ص 104.

هيَ في خَدّيه بَردٌ وسلامْ

و هي ضرٌّ وحريقٌ في الحشا

أتقي منه على حكمِ الرامْ

اسداً ورداً ، وأهواهُ رشا

قلتُ لما أن تبدى معلما

و هو من ألحاظهِ في حرسِ:

أيها الآخِذُ قلبي مَغنَما

اجعلِ الوَصلَ مَكانَ الـــخُمُسِ

ولم يترك الأندلسيون بابا من أبواب الغزل إلا طرقوه في موشحاتهم ومن ابرز هذه الأبواب غرض الغزل العنيف ومن الموشحات التي نظمت في هذا الشأن قول أحد الوشاحين[1]

كم يطمعُني طيف الخيال

ويمنعُني طيب الوصال

لو يسمعنُي شكوتُ حالي

ولكنّ لنْ يرثي لصَب

---

[1] – ابن سناء الملك : دار الطراز ، ص 51.

أسرَّ وأعلن   وكم من محبّ

إذا دعاه تاه

أما الغزل الماجن فهو قليل جدا في الموشحات ولا يظهر إلا في بعض الأبيات ويكثر في الخرجات وخاصة منها باللهجة العامية.

كما تطرق الوشاحون الأندلسيون إلى لون جديد من الغزل وهو شكوى الفتاة لامها ومن ذلك قول بن رافع رأسه[1]

ورب خود مُحَياكَا   سبُا عَقْلَهَا

فلو تفوز بُلقياكَا   شُفَا خَبْلَهَا

أبدت تناشد في ذَاكَا   لَأمِ لَهَا

يامم شوليس الجَنَهِ   الأشْوَى

ترى خمريا من الحاجب   عشير شـــرى

جاءت الخرجة باللغة العجمية وقد تعدها الوشاح لاحقا ما قالته الشاة لأمها.

[1] – لسان الدين بن الخطيب: جيش التوشيح، ص 77.

ب- توشيح الخمر :

لقد أفرط الوشاحون في وصف الخمر والحديث عنها وعن مجالسها حتى أصبحت وكأنها مباحة في مجتمعهم وكثيرا ما جاء الحديث عنها مختلفا في موشحات الغزل أو وصف الطبيعة أو المدح أما القصائد التي تناولت الخمر ووصفها جاءت قليلة منها قول ابن بقي الطليطلي[1]

أَدِرْ لنا أَكْوَابْ يُنْسَى بها الوَجْــدُ
واستصحبِ الجلاَّسْ كما قَضَى العهدُ
دِنْ بالهوى شَرْعَا ما عشتَ يا صاحِ
ونَـــزِّهِ السَّمْعَا عنْ منطِقِ اللاحي
فالحكمُ أنْ تَسْعَى إليكَ بالرَّاحِ
أناملُ العُنَّابْ ونُقْلُ الوردُ
حَفَّتْ بِصُدْغَيْ آسْ يَلْوِيهِما الخدُّ
للهِ أيامُ دارتْ بها الخمرُ
وَصْلٌ وَإلمامُ وأوجهٌ زُهْرُ

[1] – ابن سناء الملك : دار الطراز، ص 74.

والروضُ بسَّامُ   وقد بكى القطْرُ

ونحنُ في أحبابْ   قد ضَمَّنا عِقْدُ

وأفرطَ الإيناس   فما لهُ حدٌّ

بَيْنَا أنا شاربْ   للقهوةِ الصِّرْفِ

وبيننا تائبْ   لكنْ على حَرْفِ

إذ قالَ لي صاحبْ   من حَلْبَةِ الظرْفِ

نديمُنَا قد تابْ   غنّي له وَاشْدُ

وَأعْرِضْ عليه الكاسْ   لعلَّ يرتدُّ

ولعل من أشهر ما قيل في مجال الخمر الموشحة التي عرفت رواجيا كبير وتأثيرا في نفوس السامعين موشحة أبو بكر محمد بن زهر الذي تعد موشحته من أرقى ما كتب في هذا الفن ونظمها كالآتي:[1]

أَيُّها الساقي إِلَيكَ المُشتَكى   قَد دَعَوناكَ وَإِن لَم تَسمَعِ

وَنَديمٌ هِمتُ في غُرَّتِه

وَشَرِبت الراحَ مِن راحَتِ

كُلَّما اِستَيقَظَ مِن سَكرَتِه

[1] – مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 418.

جَذَبَ الزِقَّ إِلَيهِ وَاِتَّكا وَسَقاني أَربَعاً في أَربَع

غُصنَ بانٍ مالَ مِن حَيثُ اِستَوى

باتَ مَن يَهواهُ مِن فَرطِ النَوى

خافِقُ الأَحشاءِ موهونُ القُوى

كُلَّما فَكَّرَ في البَينِ بَكى ما لَهُ يَبكي لِما لَم يَقَع

أَيُّها المُعرِضُ عَمّا أَصِفُ

يَعرِفُ الذَنبَ وَلا يَعتَرِفُ

كَبدٌ حَرّى وَدَمعٌ يَكِفُ

مِثلُ حالي حَقُّها أَن تَشتَكي كَمَد اليَأس وَذُلَّ الطَمَعِ

ما لِعَيني عَشيت بِالنَظَرِ

أَنكَرَت بَعدَكَ ضوءَ القَمَرِ

فإذا ما شئت فاسمع خبري

عَشِيَت عَينايَ مِن طولِ البُكا وَبَكى بَعضي عَلى بَعضي مَعي

قد يراني في هواك الكمد

يا لَقَومي عَذَلوا وَاِجتَهَدوا

أَنكَروا شَكوايَ مِمّا أَجِدُ

قَد نَما حُبُّكَ عِندي وَزَكا لا تَقُل إِنّي في حُبِّكَ مُدّعي[1]

وقد امتزج معنى الخمر بالطبيعة والغزل مثل ثول ابن زهر في هذه الموشحة[2]

شَابْ مَسْكْ اللَّيلْ كَافُور الصبْاحْ

وَوَشَتْ بَالرَوْضِ أعْرَافْ الريَاحْ

فاَسقنيْه قَبْلُ نُورَ الفَلَقْ

وغَنَاءْ الوَرَقْ بَيْنَ الوَرَقْ

كاحْمِرَارْ الشَمْسْ عِنْدَ الشَفَقْ

نسج المزج عَليْهَا حِينَ لاَحْ

فُلْكْ اللَّهوْ وَشَمْسْ الاصْطَبَاحْ

وغزال سامني بالملق

وبرى جسمي وأذكى حرقي

أهيف مذ سل سيق الحدق

قصرت عنه مشاهير الصفاح

وانثنت بالذعر أغصان الرماح

---

[1]- المصدر السابق، ص 419.

[2] – مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 419.

وبهذا فقد ولع الوشاحون الأندلسيون يوصف الخمر والحديث عن مجالسها وكذلك ذكرت الخمور في إحدى موشحات التصوف فأصبحت شربها حلال لا إثم فيه ويقول ابن العربي[1]

في الراح راحة الروح يا صاحبي

فقل بها مقالة افصاح

والله على تارب الراح

ج- وصفة الطبيعة :

لقد اهتم الوشاحون الأندلسيون بجمال الطبيعة الخلابة فألهمتم صورا حية فوصفوا الماء والسماء والحدائق والرياض ومن أشهر ما قيل في جمال الطبيعة التي تجمع بين وصف النهر والشمس والحمام وجمال الحور وفتنة الروض إذ يقول أبو جعفر بن سعيد[2]

ذَهَّبَتْ شَمْسُ الأصِيلِ   فِضَّةَ النَّهْرِ

أَيَّ نَهْرٍ كَالمُدَامَهْ

صَيَّرَ الظِّلُّ فِدَامَهْ

[1] – السيد مصطفى غازي : ديوان الموشحات الأندلسية، ص 275.

[2] – ابن خلدون : المقدمة، ص 399.

نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لامَهْ

وَثَنَتْ لِلْغُصْنِ لامَهْ

فَهُوَ كَالعَضْبِ الصَّقِيلِ حُفَّ بالسُّمْرِ

مُضْحِكاً ثَغْرَ الكِمَامِ

مُبْكِياً جَفْنَ الغَمَامِ

مُنْطِقاً وُرْقَ الحَمَامِ

دَاعِياً إِلَى المُدَامِ

فَلِهَذَا بِالقَبُولِ خُطَّ كَالسَّطْرِ

حَبَّذَا بِالحَوْرِ مَغْنَى

هِيَ لَفْظٌ وَهُوَ مَعْنَى

مُذْهِبُ الأَشْجَانِ عَنَّا

كَمْ دَرَيْنَا كَيْفَ سِرْنَا

ثُمَّ في وَقْتِ الأَصِيلِ لَمْ نَكُنْ نَدْرِي

قُلْتُ وَالمَزْجُ اسْتَدَارَا

بِذُرَى الكَأسِ سِوارَا

سَالِباً مِنَّا الوَقَارَا[1]

دَائِراً مِنْ حَيْثُ دَارَ

صَادَ أَطْيَارَ العُقُولِ   شَبَكُ الخَمْرِ

وَعَدَ الحِبُّ فَأَخْلَفْ

وَاشْتَهَى المُطِلَ فَسَوَّفَ

وَرَسولِي قَدْ تَعَرَّفْ

مِنْهُ مَا أدْرِي فَحَرَّفْ

بِاللهِ قُلْ يَا رَسُولِي   لِشْ يَغِبْ بَدْرِي

وكذلك من أجمل ما قيل في وصف الزهويات والروضات بلفظ عذب أنيق قول أو الحسن بن مسلمة في قوله[2]

بوادي رية   اخلع عذار التصابي

أما ترَاهُ مُفَرَع

مثل الصَّباح المرصع

بالروض عَاد مجزع

سقَاهُ ريه   من صفو مَاء السَّحَاب

---

[1]- ابن سعيد: المغرب من حلى المغرب، ص 97.

[2] – ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب ، ص 99.

عَلَيْهِ حث المدامه

وانظره فِي شكل لامه

خَافَ الرياض حمامه

فكم خطيه مدت لَـــهُ كالحراب

دَعْنِي من الْعِشْق دَعْنِي

فكم بِهِ هاج حزني

فَالْآن أعشق دنـــي

واقصى ميه مَعَ المنى والرباب

الكاس أعشق عمري

لله سَاعَات سكرى

مَا بَين ورد وزهر

فَمَا لي نيه فِي غير هَذَا الْحساب

إِلَّا إِذا كَانَ شادن

يسبيك مِنْهُ محَاسِن

حُلْو الْهوى ممتاجن

يُنَادي سيه		يَا عَم احزر ثِيَابِي[1]

ومن الموشحات التي أنشدت في وصف الطبيعة موشح الطيب الأديب أبو الحجاج يوسف الذي تغنى بالأطيار والغصون والرياض.

ووصف الطبيعة اقترن بباقي الأغراض الأخرى كالخمر والحديث عنها لارتباطها بجمال الطبيعة ومجالس الأنس التي كانوا يتمتعون فيها بالجمال الساحر كقول ابن عتبة في موشحته[2]

الرَوضُ فِي حللِ خَضِرِ عَرُوسِ

وَالليلَ قد أَشْرَقَتْ فِيهِ الكُئوسَ

تجلى بكفي غلام		كالغُصن لِدَن القَوامِ

ريقه سَـــــلْسَبِيل		يَشْــفِي لَهيبَ أوَامَى

يَا حَبذَا يَومُنَا يَومَ الخَلِيجِ

والمَوج تُركُض أطرافَ المُروجِ

أحبب به وبمَرآه البُهيجِ

يفتر ثغر الكُمَامِ		عَن بَاكِيَاتِ الغَمَامِ

---

[1]- المصدر السابق، ص 101.

[2] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 277.

والغُصونِ تَمِيلُ سُكراً بِغَيرِ مُدَامِ

فقم نَبَاكِرُهَا للاصْطِبَاحِ

والشَهُبِ تنثر من خَيْطِ الصبَاحِ

والقَضِبُ تَرْقُصُ فِي أَيْدِ الرِّيَاحُ

عَلى غَنَاءُ الحَمَامِ والكَاس ذَاتِ ابْتِسَامِ

وكذلك من الموشحات الشهيرة التي امتزج فيها وصف الطبيعة الخلابة الساحرة بأغراض الأخرى تخدم معنى الموشحة وتصب في قالب الوصف والتغني والمنعة بالجمال موشحة الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي يقول :[1]

جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى

يا زَمانَ الوصْلِ بالأندَلُسِ

لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُما

في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْتاتَ المُنَى

تنْقُلُ الخَطْوَ علَى ما يُرْسَمُ

زُفَراً بيْنَ فُرادَى وثُنَى

---

[1] – ابن خلدون : المقدمة، ص 399.

مثْلَما يدْعو الوفودَ الموْسِمُ

والحَيا قدْ جلّلَ الرّوضَ سَنا

فثُغورُ الزّهْرِ فيهِ تبْسِمُ

ورَوَى النّعْمانُ عنْ ماءِ السّما

كيْفَ يرْوي مالِكٌ عــنْ أنسِ

فكَساهُ الحُسْنُ ثوْباً مُعْلَما

يزْدَهي منْهُ بأبْهَى ملْبَسِ

تعد هذه الموشحة عن أجمل الموشحات التي جمع فيها لسان الدين بن الخطيب بين الغزل ووصف الطبيعة والخمر والمدح كما أبدع أبي الحسن بن مهلهل الجياني الذي يصف فيها الروض والأنهار والأشجار فيقول[1]

النهر سلّ حساما عَلَى قُدودَ الغَصُونِ

وللنَّسيمُ مَجَالُ

والرَّوضُ فِيهِ اِختِيَالَ

مدّتَ عَليهِ ظِلاَلَ

والزهر شقّ كَمَامَا وَجَداّ بِتلكِ اللَحُونِ

[1] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 424.

أَمَا تَرَى الطَيْرٌ صَاحَا

والصَبحٌ فِي الأُفقِ لاَحَا

والزَهْرَ فِي الرَوضْ فَاحَا

والبرق ساق الغماما   تَبكِي بِدُمعِ

وهنا نجد أن الوشاح تعمد البساطة لإثارة عواطف السامع بعبارات بسيطة منسجمة سهلة الفهم وبصفة عامة نجد أن الوشاحين برعوا وأبدعوا في مجال وصف الطبيعة التي كانت تفرض نفسها بجمالها وروعتها فهام الأندلسيون بجمالها.

وهذا دليل على رقي الحضارة الإسلامية في الأندلس.

د- موشحات المديح :

أخذ فن المديح مكانة معتبرة في الموشحات الأندلسية لكنه جاء ممزوجا في أغلب الأحيان بأغراض أخرى وتوسع الوشاحون في وصف الممدوح وبطولاته وغزواته.

وما جاء مديحا خاصلا منها قليل نجد ذلك في موشحة أبي عمر بن ينق يقول[1]

سراج عدلك يزهــر   قد عمّ كل العباد

---

[1] - لسان الدين بن الخطيب : جيش التوشيح، ص 193.

نور وجهــك يبهر		سناه للخلق بـــاد

أنت العزيز الأبـــي		والملك ملك الأنام

أنتَ السرَاجُ الوَضِيَ		وَالبَدرِ بَـــدْرُ التَمامَ

ليثَ إذَا مَا الكَمـــي		قَدْ هَابَ رَوعَ الحَمَامِ

لله لَيث غَضنَفَر		تَلقاه يَومَ الجَلاَدَ

قَد سَلَّ سَيـــــفَا مشهر		عَلىَ رَؤوسِ الأَعَادِي

وكذلك من موشحات المديح موشحة مدح فيها ابن زمرك الرسول عليه الصلاة والسلام أحيا فيها ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم فيقول :[1]

يا مصطفى والخلق رهن العدم

والكَونُ لَمْ يَفتق كَمَامِ الوُجُودِ

مَزِية أعْطَيتُها فِي القِدَمَ

بِهَا عَلَى كُلِ نَبي تَسُـــودُ

مَولِدُكَ المَرقُومَ لَمِا نَجَمَ

أنجز للأمة وعد السعود

---

[1] – المقري : نفح الطيب، ص 135.

ناديت لو يَسْمُحَ لِي بِالجَوَابِ

شَهْرَ رَبيعَ يَا رَبيعُ القُلُوبِ

أطلعت للهدي بغير احتجاب

شمسا ولكن ما لها من غروب

ومن أكثر الموشحات التي قيلت في المديح مزجت بين أغراض أخرى كموشحة لسان الدين ابن الخطيب الذي مزج بين المدح ووصف الطبيعة وموشحته تعتبر من اللون الراقي التي نمقها بجمال الطبيعة ورونقها وكل هذا ليمهد للمديح فيقدمها في طابق وصفي بديع فيقول[1]

جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى

يــا زَمانَ الــوصْلِ بــالأندَلُسِ

لــمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُما

في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْتاتَ المُنَى

تنْقُــــــلُ الخَطْوَ علَى ما يُرْسَـــــمُ

زُفَراً بيْنَ فُرادَى وثُنَى

---

[1] – المقري : نفح الطيب، ص 135.

مثْلَما يدْعو الوفودَ الموْسِـــمُ

والحَيا قــدْ جلّلَ الرّوضَ سَنا

فثُغـــــورُ الزّهْــرِ فيهِ تبْسِمُ

ورَوَى النّعْمانُ عنْ ماءِ السّما

كيفَ يرْوي مالِكٌ عنْ أنسِ

كما اتصل المدح بموضوع الاعتذار والاستعطاف من الذين طرقوا هذا الباب لسان الدين بن الخطيب الذي يقول :[1]

مـــــــوْلايَ جاَءتْكَ تَرومُ الرِّضَـــى

وتطلُبُ العفْوَ لَها والقَبولْ

وتطلُبُ الإغضاَء عمّا مضى

ومُلْكُكَ البَرُّ العَطوفُ الوَصولْ

أقْلقَها هجْرٌ كجَمْرِ الغَضا

وشفّها عتْبٌ فجاَءتْ تقول

حسْبي عبْدَ اللهِ لكُمْ ذا العِتابْ

إنْ كانَ وأذْنَبْتُ تَراني نتوبْ

[1] – المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض، القاهرة 1939، ص 243.

أمْسِ أذْنَبَ العُبَيْدُ واليوْمَ تابْ

والتّوْبُ يمْحو يا حَبيبي الذّنوبْ

ومن الوشاحين الذين أكثروا من فن المدح أبو عبد الله بن زمرك والذي عرف بالإطالة في القصيدة المدحية وقد أورد له المقري موشحة في مدح الغني بالله وإخوته يقول فيها [1]

أرقتُ لبرق مثل جفنيَ ساهراً

ينظِّم من قطر الغمام جواهرا

فيبسم ثغرُ الرَّوض عنه أزَاهرا

وصبحٍ حكى وجه الخليفة باهرا تجسّم من نور الهدى وتجسّدا

ويقول في موشحة أخرى[2]

في كؤوسِ الثَّغر من ذاكَ اللَّعَسْ راحـــةُ الأَرْوَاحْ

وتغشَّى الروضَ مسكيُّ النَّفـَسْ عاطرَ الأرواحْ

وكَـــســـــا الأرواحَ وشياً مُذْهَبا يبهُرُ الشَّمْـسَا

عَسْجَدٌ قد حلَّ من فوق الربى يُبْهجُ النَّفْسَا

[1] – المقري : نفح الطيب، ص 56.

[2] – المقري : نفح الطيب، ص 115.

فَاتَّخِذْ للْهوِ فيه مَركبَا		تَلْحَقِ الأُنْسَا
مِنْبَرُ الغُصْنِ عليه قد جَلَسْ		ساجِعُ الأدْواحْ
حُلَلَ السُّنْدُسِ خُضْراً قد لَبِسْ		عِطْفُهُ المرتاحْ
قُـــــمْ تَرى هذا الأَصيلَ شاحبَا		حُسْنُهُ قَــدْ رَاقْ

وكذلك من الوشاحين من أكثر من المديح ابن الصباغ الخدامي والتي جاءت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قوله[1]

لأحمدٍ بهجَه		كالقمرِ الزاهر		في أبرُجِ السمد
علاؤُها يسبى		بنورِه الباهر		كل سنا مجدِ

والملاحظ على موشحات المدح بصفة عامة أن الوشاحين الأندلسيين حاكوا بعظهم بعضا في استعمال الألفاظ والعبارات السهلة وذلك لسهولة فهم معانيها التي تتضمن وصف واستعطاف وشكر وتعداد مناقب في مجملها.

ه- الرثاء :

ولقد كانت الموشحات وسيلة للتعبير عن الأحزان والهموم وكان الوشاحون يرثون موتاهم ومن فقدوهم بنظم موشحة لاستخدام إلا هذا الغرض وهو الرثاء لأنه

[1] - المقري : أزهار الرياض، ص 243.

من غير المعقول أن تتشمن موشحة الرثاء غزلا أو خمرا أو وصفا للطبيعة مثلا بل كانت تفي الغرض وهو الحزن والألم عمن فقدوا.

ويعد ابن اللبانة من أشهر وشاحين الرثاء الذي خص ديوانه برثاء بني عباد بعد زوالهم من الحكم ويقول فيها[1]

طَلّ النّجيعُ وفَلّ الأسْرُ		غَرْبَ مُهنّدْ
وكانَ مِنْ مُنْتضاهُ الدّهْرُ		وما تَقلّــدْ
يا سائلي عنْ بني عَبّادْ		حدا بهمُ في ذكرهمْ حادْ
فالبيتُ بيتٌ بلا عمادْ		وما لنا بعدَهمْ مِن هــدْ
فلي دموعُ عليهمُ حُمْرُ		تنهلّ سرْمدْ
وطيِّ ما ضَمِّ منّي الصّدْرُ		جَمْــرٌ تَوقّدْ

وهنا جاء الأسلوب مباشر استطاع ابن اللبانة إبراز الحزن على ملوك بني عباد بأسلوب سهل بسيط.

ومن اروع ما قيل في غرض الرثاء موشحة ابن حزمون التي قيلت في رثاء أبا الحملات بن أبي الحجاج قائد الأعنة الذي قتله النصارى[1]

---

[1] – لسان الدين الخطيب : جيش التوشيح، ص 71.

يَا عَيْنُ بَكِّي السِّرَاجْ الأَزْهَرا   النَّـــيِّرَا اللامِعْ

وكَانَ نِعمَ الرِّتَاجْ فكُسِّـــرَا   كَيْ تُنْثَرَا مَدامِعْ

مِنْ آلِ سَـــعْدٍ أَغَـــرّْ   مِثْلُ الشِّهَابِ المُتَّقِــــدْ

بَكَى جَمِيعُ البَشَرْ   عَلَيْهِ لَمَّا أَنْ فقِدْ

والمَشْرَفِيُّ الـــذَّكَرْ   والسُـــمْــهَرِيُّ المُطَّرِدْ

شَقَّ الصُفُوفَ وكَرّْ   عَلَى العَدُوِّ مُتَّئِـــدْ

لَوْ أنَّهُ مُنْعاجْ عَلَى الوَرَى   مِنَ الثَّرَى أَوْ رَاجِــعْ

لقد برع ابن حزمون في صياغة هذه الموشحة فالقداحين اختيار اللفظ الذي يخدم الغرض ويشد انتباه القارئ كما نوع في الأوزان والقوافي مع ذكر محاسن المرثي.

ولم يكن الوشاحون في رثائهم برثاء الأشخاص بل رثوا حتى المدن وتحسروا على ما حل بها من دمار وخراب وهذا ما كان معروف عند الشعراء القدامى برثاء المدن ونجد في هذا المجال موشحة ابن زمرك الذي نظم أكثر من موشحة يرثي فيها غرناطة ومن ذلك قوله[2]

---

[1] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 217.

[2] – المقري: نفح الطيب، ص 216.

أبـــــــلغْ لغرناطةٍ سلامــــــي وصِفْ لها عهديَ السليمْ

فلو رعى طيفُها ذِمامي ما بِتّ في ليلةِ السليـــــــمْ

وكان موشوع رثاء المدن من الموضوعات التي طورها الأندلسيون وأكثروا منها في شعرهم.

و- الأعراض الدينية والصوفية :

لقد طرق فن التوشيح موضوع التصوف وكان الزهد من الموضوعات التي عرفت ازدهارا عدد الأندلسيين وأكثروا النظم فيها. وبما أن حياة الأندلسيين كانت أكثر مليلا للهو والشهوات وملذات الحياة فمن الطبيعي أن يوجد من بينهم ومن يبتعد عن الدنيا وملذاتها وينصرف إلى الذكر والتقرب من الآخر ومن الساقين إلى هذا النوع من الموشحات محي الدين بن العربي والذي يقول :

سرائرُ الأعيان لاحت على الأكوانِ للناظرين

والعاشقُ الغيرانُ من ذاك في بحران يبدي الأنن

يقــول والوجدُ أضناه والسهد قد حـــيّره

لما دنا البعدُ لم أدر من بعد مَن غبَّره

وهيّم العبدُ والواحد الفرد قد خّيره

في البوحِ والكتمان   والسرِّ والإعلان   في العالمين

وقد جاء هذا الموشح بسيط المعاني وألفاظ كان يهدف الوشاح إلى الحديث من عن الثقافة الأندلسيين بألفاظ صوفية.

ومن المتصوفة أيضا ابو الحسن الششتري الذي اشتهر بموشحته التي يقول فيها[1]

الحمــد لله على ما دنا

من اسرورِ والهنا والمنا

فقلْ لواشٍ قد وشى بيننا

قد ذهبَ البؤسُ وزالَ

وواصلَ الخلّ ونلنا المنى

قد استعمل الوشاح الألفاظ الصوفية كالواشي – الخل – المنى وهي مصطلحات غزلية استعملها المتصوفة لمعارضة الحب الدنيوي.

كما نظم الوشاحون موشحات زهد وفيها يقوم يذم الوشاح ملاذ الحياة متشوقا للقاء ربه وهذا الموضوع تقليدي ومنه استحدثوا لونا سموه المكفر وقد عرفه ابن

[1] – الششتري أبو الحسن : الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية 1960، ص 252.

سناء الملك بقوله[1] << والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل على وزن موشح ومعروف وقافي وأقفاله يحتم بخرجة ذلك الموشح ليدل على أنه مكفر ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره >>.

كما عرفه صفي الدين الحلي[2] << إن الأديب منهم إذا نظم موشحا في آخره خرجة زجلية تتضمن الهزل والأحماض نظم بعدها موشحا معربا في وزنه وقافية تتضمن الاستغفار والوعظ والحكمة ليكفر الله تعالى به عنه ذنب ذلك الأحماض وتلك الخرجة >>.

ومن اشتهر بهذا اللون من الموشحات ابن الصباغ الذي أكثر من الاقتباس عن غيره من مطلع وخرجة و وسن عليها مكفراته وما دفع به لهذا اللون كونه كان في صغره كثير اللهو وبعد بلوغه سن الشيخوخة لجأ لهذا النوع لتكفير به عما مضى من حياة الترف واللهو ومن موشحاته[3].

زهرُ شيــبِ المفارقْ   تفتحَتْ عنه الكِمامْ

فابكِ الزمانَ المُفارقْ   وحاكِ في النّوح الحمامْ

---

[1] – ابن سناء الملك : دار الطراز، ص 51.

[2] – صفي الدين الحلي : العاطل الحلي ص 11.

[3] – المقري : أزهار الرياض ص222.

عُوِّضتُ بالصبح الأصيلْ وقد عَرَا البدرَ انكِسافْ

ألمَّ بالغصنِ الذّبولْ وكان لَدْناً ذا انعطافْ

وهنا ابن الصباغ يتحدث عن الشيب والكبر تحضر على أيام الصبا والشباب متضرعا إلى الله طالبا الرحمة والمغفرة.

كما كانت له موشحات فيمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وحب الذات الإلهية عن طريق الصوفية.

ي- الهجاء :

وهذا اللون قليل كان الغرض منه السخرية من الخصوم وذكر مساوئهعم ومن ابرز من نظم في هذا اللون ابن حزمون الذي كان سصف خصومه بمساوئهم ومن ذلك قوله يهجوا القاضي القسطلي[1]

تخونك العينانْ يا أيها القاضي فتظلِمْ

لا تعرف الأشهادْ ولا الذي يسطّرْ ويرسمْ

يا ناقصاً في كمال

نَقْصْ الحرب الزائد في الأشباحْ

---

[1] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 216.

وبهذا يمكن القول أن الموشحات جاءت في كل الأغراض المعروفة في الشعر التقليدي ولم تختلف عنها من حيث المعاني فالغزل كان غزلا بحثا ممزوجا بموضوعات تلائم الغرض كالخمر والطبيعة، والرثاء كان بكاءا وألما وحسرة على من فقدوا أما الهجاء فعرضه ذكر المساوئ وتعداد النقائض عند الخصم أما وصف الطبيعة فكانت وصف لجمال الكون بكل ما فيه من مناظر تبهر وتسحر الناظر وحق الزهد والتصوف كان الغرض منه الهروب من الحياة الدنيوية إلى الآخرة والتقرب والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالتالي فالمعاني لم تختلف عن القوافي الاختلاف كان في الشكل فقط.

أغراض الأزجال :

لقد اقتصر الزجل في بدايته على الغزل والمجون ثم انتقل بعد ذلك إلى الوصف والفخر والرثاء والهجاء والمديح .

1- الغزل : ارتبط مضمون الغزل عند الزجّالين لأن الأزجال كانت تُنظَم في مجالس اللهو والطرب، ومن ذلك ما نظَمه ابن قزمان[1]

يا عودْ الزّانْ   قمْ ساعدني

[1] – ابن قزمان: الديوان، ص 26.

طابَ الزمانْ لمنَ يجني

وقوله كذلك[1]

هَجَرني حَبيبي هَجـــرْ

ولــــسْ لِي بَعْد صَبرْ

هَجَرني وزَاد بالصُّدودْ

وانقـــم عليَّ الحَسُـــودْ

فأيَّامي مِنْ هَجْرُ سُودْ

كمِثل سَوادِ الشّـــعَــرْ

وانا مُذ هَجَر في عَذابْ

إذا مَرَّ رَعْدَ العِتـــابْ

ترَدّ جُفوني سَحَـــابْ

وترْسل دمُوعي مَطرْ

لسْ حَبيبي إلا وَدودْ

قطع لي قميص مِنْ صُدودْ

وخَاط بنقض العُهُودْ

1 - المصدر نفسه، ص 364.

وحَبَّبْ اليَّ السَّهَــرْ

وهناك غزل يمتزج بالمدح والخمر كما جاء في أزجال مدغيليس الاتي عرفت أزجاله الغزلية بطابع حزينا ومن ذلك قوله[1]

أنا تايبْ مِن هوى يا مسلمينْ

ربّي يجعلْ قلبي في يدْ أمينْ

قد رجعْ قلبي خزانَه للهمومْ

كل أحدْ فارحْ ونا نمشي مَهينْ

يفضحُ العشقُ أش يُفدني الجحودْ

والدّموعْ والنّحولْ عليّا شُهودْ

وشُهوداً اخرَ عليّ بـــذا

سَهَري الليلْ وقلبيَ المَوقودْ

ومن الغزل ما كان ممزوجا بالمدح ومن ذلك قول ابن قزمان في أبي الوليد بن رشد الفيلسوف العقلاني[2]

---

[1] – صفي الدين الحلي : العاطل الحلي، ص 25.

[2] – ابن قزمان : الديوان، ص 712.

لَسْ لهذا المليح مثالْ

فمتى ذُكِر جمـــالْ

فإلى من هَويت يُمالْ

ومتى ما ذُكرْ كَـــرَمْ

ومن سمات الغزل الذي جاء به الزجالون هو أنه غزل مادي يبحث عن اللذة.

2- الخمريات :

كان الأندلسيون يشربون الخمر في مجالسهم فأكثروا الزجالون من القول في الخمر يصفون مجالسهم وسلوكهم المنحرف يقول ابن قزمان هذا[1]

والثمارْ تنثر حليّها   بثيابْ بحَلْ زبرْجدْ

والرياض تلبسْ غلالا   من نبات فِحَلْ زمردْ

والبهارْ مع البنفسجْ   أي جمالْ ابيضْ وأزرقْ

والندى والخيرِ والآسْ   والراحْ والظلْ والما

والمليحْ خلطي مهاودْ   والرقيبْ أصمّ أعمى

وزميرْ من فمّ ساحرْ   وغنا من كفْ سلمى

---

[1] –ابن قزمان : الديوان ص 712.

والزجاجْ ملِحْ مجزَّعْ والشرابْ أصفرْ مروقْ
يا شراباً مُرّ ما أحلاك علقم إتّ ممزوج بسكرْ
بالذي رَزقنِ حبِّك من نثرْ عليك جوهــرْ

وهناك خمر يمتزج بأغراض أخرى ومن ذلك قول أبي عمرو بن الزاهر في الخمر والغزل فيقول :[1]

أش عليك أتْ يا بْن يقلقْ
دعني نشربْ دعني نعشقْ
حتى نمشي سكران احمقْ
فـــي دِراعي مقبضْ خُمّاسْ
وفي صدري قيْس المجنونْ

فالزجالون لم يضيفوا شيئا جديدا لغرض الخمر مما جاء به الشعراء في القصائد إلا أنهم استطاعوا أن يبسطوا المعاني

[1] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 284.

ج- المدح :

اكتسى طابع المديح لدى الزجالين البساطة في وصف الممدوح وتعداد فضائله ومن ذلك مدح ابن قزمان للقاضي أحمد بن الحاج[1]

وَصلَ المظلُوم لَحِق وانتَصفَ غنَي ومَسكِين

يَحضُرَ الإِنكَارَ والإقرَارَ ويَقَعُ الفَصْلَ فالحِينَ

اجتمع فيه الثلاثة : الوَرَعُ والعِلْمَ والدينَ

فَيَزولُ الحَق إذَا زَالَ ويدُومَ الحَقُ إذَا دَامَ

وتَرىَ طَالِبُ ومَطْلوبَ لَسْ ترى زَوارُ وجَلاَسِ

إلا إن كَانت ضرَُورَةَ كَلِمَةَ كَلِمتين فلَا بَاسِ

مرآت يَا قَاضِي الجمَاعَةُ جزَاكَ اللهُ خَيْرَ علَى النَّاسِ

إن مُذِ كُنْت أُتْ حَاكِمَ عَرَفْتَ شرُوطَ الأَحْكَامِ

أي نُهَارِ نرَاكَ فِي دَاركَ وَأَت قَدْ جلَسْتَ للنَّاسِ

والخِصَامِ يُعْطِي وَيُمنَع والزحَامِ وحُرِ الأنْفَاسِ

وأنْت تَحْكَمِ فِي المنَاكِحِ والغَضَبَ والدِين الأحْبَاسِ

---

[1] - عبد العزيز الاهواني : الزجل في الأندلس، ص 221.

والمواريث والجنايات والنظر فأموال الأيتـــام

ومن الأزجال المدحية ما كتبه أبو عبد الله بن خاطب في مدح القاضي ابن أضحى الهمداني فيقول[1]

الله ساقك ولم يسوقك أحد واجتمعنا أصداف أخير من وعد

وفر الله مـــشي ذاك الأميال

والرقاد الردي وشغل البال

وكفى الله المؤمنين القتال

طار حديثك على المدن والقرى

قاضي يعطي عطية الأمرا

غرناطة مكة الشعرا

فترى فيها أهل كل بلـــد

ومن المدح ما امتزج بالغزل والوصف والخمر ونادرا ما يكون غرض المدح خالصا في الزجل ومن ذلك قول ابن قزمان في مدح أحد الوزراء[2]

---

[1] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 283.

[2] – ابن قزمان : الديوان، ص 612.

عَــبْدك المنقطع إليك مُذ كانْ

أكمل الله عُلاك ابَن قزْمَانْ

أطال الله بقا الوَزيرْ الأجلْ

الفقيهْ عَاد الكاتب الأكملْ

إذ يقول أعملوا كذا يُعملْ

مغن مكرومْ وَجيه رَفيع الشّانْ

ومن الزجال المدح كذلك التي تصدرت بمقدمة غزلية قول مدغليس[1]

الهوى حملني ما لا يُحتملْ

تُردْ الحقّ لسْ لمن يهوى عقلْ

لس نقعْ في مثلها ما د متُ حَيْ

إن حماني من ذا تأخير الأجــلْ

خُذْ نقلْ لك أشْ جرى لي يا فلانْ

وترى أنّي صبورْ نعْمهْ جَزلْ

ولقد اتجهت معظم ازجال المديح إلى ذكر جمال الممدوح وتعداد مناقبه فلم تخرج بذلك عن الشعر التقليدي من حيث المضمون وهي بسيطة المعنى غير أن

[1] – صفي الدين الحلي : العاطل الحلي، ص 19.

الزجال كان يختم مديحه بخرجة فصحى احتراما للممدوح وإرضائه ويتغزل به في مطلعها كقول ابن قزمان[1]

نريدْ ولِخوفِ النشْبهْ نبكي

واش نقدر نموت وراك يا وَشْكي

عشقتُ وصحّتْ الروايَــه

د- وصف الطبيعة :

نظرا لجمال الطبيعة الخلابة في الأندلس ولوع الشعراء بها ما جعلهم يتغنون بسحرها ووصف جمالها والتمتع بروعتها ويقول أبو علي الدباغ في وصف الطبيعة[2]

لا شراب إلا في بستانْ والربيعْ قد فاح نوارْ

يبكي الغمامْ ويضحك أقحوانْ مع بهارْ

والميه مثل الثعابينْ فِذاك السّواق دارْ

---

[1] – ابن قزمان : الديوان، ص 80.

[2] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 438.

ولعل من أروع ما نظم في وصف الطبيعة الأندلسية الفاتنة بأسلوب عذب وصناعة لفظية بديعة إذ حاكت القصائد الشعرية من حيث رونقها وإطارها ما جاء في قول مدغيلس يصف الطبيعة قائلا[1]

ثلاثَ أشْيا فالبساتينْ		لسْ تجَدْ في كلّ مَوضِعْ

النسيمْ والخضرَ والطيرْ		شـمْ واتـنزهْ واسمعْ

قـمْ تـرى النسيمْ يُولولْ		والطيُّور علِه تغرّدْ

وبهذا فقد جاء وصف مدغليس لطبيعة دقيقا مفضلا كما جاءت صورة توحي بجمال الطبيعة الخلابة.

وقد جاء وصف الطبيعة ممتزجا باغراض أخرى في كثير من الازجال، كما جاء في قول ابن قزمان فيما نظم إذ يجمع بين وصف الطبيعة والخمر[2]

والثمارْ تـنثر حليّها		بثيابْ بحَلْ زبرْجـدْ

والرياض تلبسْ غلالا		من نبات فِحَلْ زمردْ

والبهارْ مع البنفسجْ		أي جمالْ ابيضْ وأزرقْ

والندى والخيرِ والآسْ		والراحْ والظلْ والما

---

[1] – المصدر نفسه، ص 220.

[2] – ابن قزمان: الديوان، ص 186.

ما يلاحظ أن موضوع الزجل هنا جمع بين الصنعة ووصف الخمر التي كان الأندلسيون يتغنون بها ويصفون مجالسهم وسلوكهم المنحرف

وقد يأتي موضوع الطبيعة ممزوجا بالغزل كقول عبد الغافر المرواني[1]

أوقدْ في قلبي النارْ ولسْ يريدْ يطفيهْ

وسدّ باب الدارْ أيْ خَذلْ فيه وأي تيهْ

يا أحسن الغزلانْ يا كوكبْ درّي

لك تسجد الأغصانْ ويمدح القمري

وهنا امتزاج بين الوصف المادي الذي هو الطبيعة الساحرة والوصف العاطفي الذي فيه وصف للمحبوب.

من الزجل ما امتزج فيه وصف الطبيعة بالغزل والخمر في قول الدباغ :[2]

لا مليحْ إلا مهاودْ لا شرابْ إلا مروقْ

اتكي واربَح زمانكْ بالخلاعتا والمُعيْشقْ

لا شراب إلا في بستانْ والربيعْ قد فاح نوارْ

---

[1] – ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ص 384.

[2] – ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ص 438.

يبكي الغمامْ ويضحك أقحوانْ مــع بهــارْ

والمياه مثــل الثعبينْ فِذاك السّواق دارْ

ومن الخمريات ما ظم أبو بكر الإشبيلي الذي عرف بالزندقة ومن ذلك قوله[1]

حقا نحبّ العقّارْ فالديرْ طول النهارْ نُرتَهَنْ

خلـــــع أنا لسْ قدّا عَــنْ فُلانْ

نشرب بِشقْف القدح كِفْ ما كانْ

هــ الهجاء :

مثلما طرق الزجالون كل المواضيع التي طرقها الشعراء فالهجاء من بين الموضوعات التي برع فيها الزجالون ولعلها كانت أسهل نظما من القصيدة باعتبار أن الهجاء يتطلب ألفاظ تهكمية لاذعة وهذه الألفاظ قريبة من العامية أكثر من الحى ولكن هذا لا يعني أن كل الازجال كانت قادحة لاذعة بل منها ما جاء في قالب فكاهي يتسم بخفة الروح والسخرية

وأشهرها ما أنشأ أبو علي الدباغ في هجاء طبيب[2]

إن ريتْ من عدّاك يشتكي من تلطيخْ

---

[1] – المصدر نفسه، ص 270.

[2] – ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ص 440.

وتريد أن يُقبر   احملُ للمرّيخْ

ومن هجاء ما امتزج بمواضيع أخرى قبل قول ابن قزمان الذي يهجو الرقيب وكان يتمنى له المصائب فيقول[1]

لا تسمّوا رقيب ولا تذكروهْ

وإذا جا فِضيقَ لا تعذروهْ

مَيلوا رُوسْكمْ ولا تنظروه

إنِّ أزعقْ هوْ من زوال النِعمْ

و – الرثاء :

أما الرثاء فإنه قليل من الأزجال وكع ذلك فالزجالون لم يرثوا الأشخاص فقط بل حتى البلدان وهذا ناتج عن الظروف التي عاشها الأندلسيون من دمار بلدانهم وخرابها. ومن أزجال الرثاء زجل ابن قزمان في رثاء أبي القاسم قاضي قرطبة يقول فيه[2]

البكا واجبْ وصَبْرنا أنفـــعْ

إن مَنْ قدْ ماتْ لمْ يمض ليرجعْ

[1] – ابن قزمان : الديوان، ص 60.

[2] – ابن قزمان : الديوان ص 528.

إنما معذور فمَعْذور وزايدْ

كل أحدْ بالله يفزَعْ للشّدايَدْ

لسْ تجي العينين إذ تبكي بفايَدْ

جاء أسلوب الزجل هادئا وحارا ويلائم غرض الرثاء والتالي لا يختلف ما جاء به ابن قزمان عن الشعر التقليدي فمضمون الرثاء عادة ما يكون صادقا نابعا من القلب.

ي – الأغراض الدينية والصوفية :

يعد الششتري اول من أدخل التصوف في الزجل وباعتبار أن الزهد موضوعا وربما تقليديا فإن المتصوفون بالغوا فيه ومن أزجال الششتري في التصوف قوله[1]

الله، الله، هاموا الرجالْ   في حبّ الحبيبْ

الله، الله، معي حاضرْ   فـــي قلبي قريبْ

أدللْ يا قلبي وافرحْ حبيبكْ حضـــــرْ

واتنعمْ بذكر مولاك وقصي الأثـــــــــرْ

واتهنى   وعِشْ   مدللْ   بين   البشرْ

[1] – الششتري : الديوان ص 88.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: تطور الموشحات في مجال الغناء

أ- تطور الموشحات في مجال الغناء

ب- الموشحات بين التأثير والتأثر

ج- وشاحون أندلسيون

أ- تطور الموشحات في مجال الغناء:

من المعلوم أنّ للشعر صلة وثيقة بالغناء فكان ما ينضمه الشاعر من أبيات يلقيها على طريقة الإنشاد ويقول في هذا الصدد الشاعر المتنبي[1]

ومَا الدهُر منَ رِوَاة قصَائِدي إذا قُلت شِعْرًا أصبَحَ الدَهْر مُتَشدَا

فسَار بِه ِلا يَسِيرِ مَتمثرَا وغَنَى بِه مَنْ لاَ يَغْني مٌغَرِّدَا

فكان الشعراء القدامى يتغنون بشعرهم.

وكذلك الخنساء التي كانت تنوح برتأتها والدليل على ذلك ما يخده في شعرها من رنين موسيقى في قولها[2]

حمّال الويةَ ،هابطَ أوْدية شَهَاد أَندية ،لِلجيشَ جَرَارْ

تجارَ رَاغيَةَ ، مَلجأ طَاغِية فَكَانَ عَانيَة للْعُظَمِ حنَارْ

"وبذلك فإن الغناء والشعر متصلب اتصالا وثيقا ويو كذلك صاحب كتاب الأغاني[3] "إذ أبا البصير قال أن الغناء العربي كان على تقطيع العروض".

ويقول أحد الأدباء أنه إذا حاول شاعر نظم شعر في صورة جديدة غير مألوفة عند الناس لم يدع قوله ولم يسهل ترديده لأن شرط ذيوع الشعر أن تألف الناس نعمته وموسيقا.

1- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ،الطبعة الأولى، ص172
2- صفي الدين الحلى: العاطل الحلي 1955، ص224
3- ابن فرج الأصفهاني، الأغاني مصر ، ص142

وقال ابن رشيق[1] :" إن العرب احتاجوا إلى الغناء بمكارم أخلافهم وطيب أعرافهم وذكر. أيامهم الطاطة وأوطانهم النازجة وفرسانهم الأنجاد وسمحائهم الأجواد فتوهموا عاريض جعلوها موازين للكلام فلمّا تم هم وزنه سموه شعراء".

وقد ألمّ المغنى أبو الحسن علي بن نافع الذي انتقل إلى الأندلس كل هذه الإبداعات والتطورات التي شهدها الغناء في الشعر العربي وانتقل بها إلى الأندلس مؤسسا بذلك مدرسة للموسيقى إلى نهج خاص وصفها المقري بقوله[2] "واستمر بالأندلس، أن كل من افتتح الغناء يبدأ بالانشد أول سدوه بأي نقركان، ويأتي أثره بالبسيط ويختم بالحركات والأهزاج تبعا لمراسم زرياب".

وقال ابن خلدون[3] "فاورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطنها منها بإشبلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب عضارتها إلى بلاد العدوة بافريقية والمغرب".

وهناك قصائد قديمة كان يتغنى بها في الأندلس كقول بن الحداد".

فذر العقيقِ مَجَانِبًا لِعُقوقِهِ وَدَعْ العذيبَ عذيبَ ذَاتَ الضِالِ

حَجيوكَ لاَ مِن قَوهَمَ خَاطِري وحَمَوكَ الأَمن تَصورَ بَالِيَ

والقَارِظَان جَمِيلَ صَبَرِي والكَوَى فَمَتى أَرْجَي مِنْكَ طَبَقُ خَيَالِ[4]

---

[1]- ابن رشيق: العمدة ، ص72

[2]- المقري: نفح الطبيب ، ج3، ص112

[3]- المقدمة: ابن خلدون، ص427

[4] المقري: نفح الطيب ، ج3، ص294، ص137

ألفت بالأندلس كتب للأغاني والموسيقى ككتاب أبي فرج الأصفهاني وأبي بكر بن باجة وكتاب أبي عبد الله الحداد الذي مزج فيه بين الموسيقى والآراء الخليلية.

ويرى فؤاد رجاني " أنّ طريقة زرياب في الغناء كانت سببا قويا في اختراع الموشح".

ذلك أن أشعار زرياب كانت تقتضي عددا من المقطوعات الغنائية تشمل ألحانا بسيطة الأهازيج والنشيد المرسل.

وقد كان أثر الغناء على الشعر في الأندلس واضحا فقد ازدادت ألفاظه لبينا وتسربيت إليها الركاكة بدعوى الغناء فقدم أحد الأندلسيين إلا بنظم شعر من أجل الغناء فجاءت أشعاره بالغة ركيكة فثار عليها المعجبون بالشعر المشرقي، ويصل أبو عمر بن عبد ربه ناعيا على المغنين قبولهم الغناء في هذا الشعر "وتركوا الذي هو أرقى من الماء واصفى من رقة الهواء [1]و كل مدني رقيق، قد عذي بماء العقيق وغنوا،

فَلاَ أنْسَى حَياتِي مَا	عَبدْتَ اللهَ يَا رَبَّا
وقلتُ لَهَا أتيلِيي	فَقَالت افْرِقْ الدّبَا
ولَو تَعلمَ مَا سَبَى	لَمْ تهَب دبَالا كَليَا

ولذلك وجد الأدباء والنفاد أنه من أسباب ضعف لغة الموشح وركاكتها هي ارتباطها بالغناء ولذلك فهي وجدت من أجل الغناء.

[1] فؤاد رجائي: الموشحات الأندلسية ، ط1، ص47

و كان في القديم الشاعر يقول بيتا أو بيتين أو يلقيهما بطريقة الإنشاد و ذلك للصلة الوثيقة بين الشعر و الغناء كونهما يصدران عن عاطفة.

و يقول في هذا الصدد الشاعر المتنبي ([1])

و ما الدهر إلا من رواة قصائدي   إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مسمرا   و غنى به مذلا يغني مغردا

والمعروف عن الشعراء القدامى أنهم كانو يتغنون بشعرهم فيقول ذو الرمه:([2])

أجد المكان الفقر من أجرأنني   به أتغنى باسمها غير معجم

و قد أوصى حسان الشعراء أن يتقو بشعرهم و ذلك للصلة الوثيقة بين الشعر و الغناء.

و يقول ابن رشيق: ([3]) "إن العرب احتاجوا إلى الغناء بمكارم أخلاقهم وطيب أعراقهم و ذكر أيامهم الصالحة و أوطانهم النازحة و فرسانهم الأنجاد وسمحاتهم الأجواد فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا أي فطنوا".

كما أن أحد الشعراء شرب خمرا و هو أسير عند عمر بن مالك، فلما أخدوا منه الشراب تتغنى ينوح على كليب.

كما أن الخنساء خير دليل على أن للشعر صلة وثيقة بالغناء إذ كانت تتوج أخاها و لم يكن شعرها يقرأ على النحو الذي يقرأ به اليوم بل كان على طريقة الإنشاد، فتقول:

حَمَال الوَية، هَبَاط وَ وُديهَ   شَهَاد أنديَه، للجَيْشِ جرَارَ

---

[1]-مصطفى عوض كريم، فن التوشيح، دار الثقافة، بيروت لبنان، ص43
[2]-المصدر نفسه، ص43
[3]-ابن رشيق: العمدة، القاهرة، 1934، ص98

نَحَارَ رَاغِبة، مَلجأ طَاغِيَة فكَاكَ عَانِيَة، للعَصْمِ جَبَارَ

و بما أن للبشر علاقة بالغناء فلا بد أن تكون البحور بقايا ألحا، إذ يقول أبا النضير: " الغناء العربي كان على تقطيع العروض"([1])

و يقول أديب معاصر:" لو حاول الشاعر نظم الشعر في صورة جديدة غير مألوفة بين الناس لم يذع قوله و لم يسهل ترد يده لأن شرط ذيوع الشعر أن تألف الآذان نغمته و موسيقاه" ([2])

و بالتالي لم يبتكر المغنون آنذاك أوزانا و لا بحورا جديدة تلائم أغانيهم بل اعتمدوا البحور المعروفة.

و يعود اختلاف الأعاريض العربية إلى الحالة النفسية المتغيرة من فرح وسرور إلى حزن و غضب و من النشوة إلى النفور هذا ما يؤدي إلى اختلاف وتفاوت في النغمات و النبرات.

و قد كان التغني بالشعر مظهرا هاما في حياة العرب فكانوا ينظمون الشعر و يتغنون به في كل حين في أوقات عملهم و استرخائهم حتى الجيوش السائرة للقتال كان تسير و ننشد شعرا و من ذلك قول مالك بن العجلان: ([3])

لصبحن داركم بذي لجب جود له من أمامه عزف

و لعل من الأغراض الشعرية العربية المعروفة التي كثر فيها الغناء هو غرض الغزل كون أن الشاعر العربي كان يفتتح قصيدته بمقدمة غزلية، كما كانوا يتفنون بأشعار الأنس و اللهو و مجالس الشراب و اللهو كقول ابن و الأحمر.([4])

---

[1]-مصطفى عوض كريم: فن التوشيح، ص74

[2]-إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص172

[3]-أبي فرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء الثاني، ص 29.

[4]-المصدر نفسه، ص30

كَشَرابِ قِيلِ عَنْ مَطيَة وَلَكل أَمِْر واقِعَ قَدَر

مَدَ النَهَار لَهُ وَطَالَ عَليهِ الليْلُ واستغنَت عَلَيْه الحَمْرُ

وجَردتَان تَغَنيَا بِهمُ وتَلألأ المُرْجَانُ والشَذُرُ

و بتعدد الأغراض أصبحوا يميزون بين ما يصلح و ما لا يصلح للغناء من الشعر و ذلك حسب الموضوع فكان من الشعراء من يكن من أجل الغناء كالأعشى و حسان بن ثابت وعدي بن زيد و بالتالي تشعبت أنواع الغناء " فأصبح ما يعرف بالركبان و هو غناء الفتيان، و النصب و هو الغناء الثقيل، أما لخفيف الذي يهيج القلوب فسمي بالهزج" ([1]).

2-الغناء في الإسلام:

بعد ظهور الإسلام عرف الغناء عزوفا كبيرا و ذلك لانشغال الناس بما هو أعظم و هو الدعوة المحمدية و بعد انقضاء عهد الرسول عليه الصلاة و السلام عاد الناس حياة الترف و اللهو فأخذ الغناء يستعيد مكانة و أخذ الإقبال عليه كبير و ما زاد اهتمامهم به هو الظروف السائدة آنذاك من نزاعات و خلافات سياسية و يقول الأبشهية ([2]) " أن أول من عنى في الإسلام الغناء الرقيق الذي يدخل في الإيقاع وهو من قال:

قَد بَرانِي الشَوْقَ حَتَى كَدْتُ مِنْ شَوقي أذُوبَ

---

[1]-الأبشيهي، المستطرف، مصر 1943، ج3، ص170

[2]-المصدر نفسه، ج3، ص321

و من أشهر المغنيين في هذه الفترة ابن المحرز الذي تعلم ألحان الفرس و أخذ غناءهم ثم ذهب إلى الشام فتعلم ألحان الروم فأخذ محاسن الفريقين و أسقط ما يستحسنه و مزج بينهما مؤلفا أغان تروق للسامعين إذ يقول ([1])

يَا أمْ بَكَّر حَبكَ الجَادِي   لاَ تَضرْمِينَي أنّنِي غَادِي

و عليه يمكن القول أن العرب أخذوا الألحان الفارسية و الرومية و أخضعوها للذوق العربي، و لم يتأثر الشعر العربي بهذه الألحان.

و من أجود ما قيل في ذلك العصر لحن إبراهيم الموصلي في الشعر من البحر الوافر :

و من أجود ما قيل في ذلك العصر لحن إبراهيم الموصلي في الشعر من البحر الوافر.

إلَى جَيْداءَ قَدْ بَعثُوا رَسُولاً   لَيَخزنَهَا فَلا صَحب الرَسُولُ

و في هذا العصر ظهر شعراء يؤلفون الأشعار و يقدمونها للمغنين و أشهر بهذا عمر بن ربعيه والحارث بن خالد و غيرهم.

الغناء في العصر العباسي:

أما في العصر العباسي أصبحت لغة الغناء مألوفة لدى الناس فخفت أوزان و أصبح جل الشعر المنظوم إنما ينظم ليغني فارتاح له السامعين لخفته وزنه و عذوبته و من الشعر المغني قول منصور النمري مايحا هارون الرشيد.([2])

يَازَايَرِيَنَا مِن الحَيَامِ   حَيَاكُم اللهَ بِالسَلاَمِ

[1]-مصطفى عوض كريم، فن التوشيح، ص71
[2]- ابن المعتز، طبقات فحول الشعراء، ص 105.

لم تَطْرقَانَا وَ بِي حِرَاكَ		إلَى حَلاَلٌ وَ لاَ حَرَامَ

هيهات للهْوِ و النَصَابِي		و اللَغَوانِي وَ للمَدَامُ

أنَصِرَ جَهْلِي و ثَابَ حَمُلِي		و نَهَنِه الشَيبِ مِن عَرَاس

للهَ حَبِي وتَرَ بِجَي		لَيله أعْيَاهُمَا مرَامتِي

و كان بشار بن برد يصنع المزدوجات و المسمطات مما يدل على أن للغناء تأثير كبير على القصيدة.

و يعد بن العتاهية من أكثر الذين تأثر شعره بالغناء فكان يضع أشعار يتغنى بها هو و غيره و ذلك لسهوله شعره فكان يلعب بالشعر كما يشاء و ينظمه موزونا مختلفا عن الأعاريض المعروفة، و كان يصنع أكان أعجمية حتى قيل فيه ([1]) " من معنا من الشعراء أقدر على أن يعملوا لهوؤلاء شعر يغنون فيه: فقيل " و ليس أحد أقدر على هذا من أبي العثاهية و هو في الحبس".

و قد أكثر العثاهية من نظم المزدوجات فأخذ الناس يخرون عن ما هو مألوف من مذهب الأوائل في الغناء و ممن ذاع صيتهم و غنو شعرا آنذاك جارية كانت تنوح وزنا مخالف عن أوزان العرب بلغة دراجة فاكتشف المغنون عدة وسائل للتخلص من الرتابة القديمة و عملوا على التنويع والسهولة و لسلامة في اللفظ مما يشمل المسامع الذي سم الوزن الثقيل و كقول الدلال من أبيات عمر بن ربيعة ([2])

ألم تسأل الأطلال و المتربعا		ببطن حليات دوارس بلقعا

إلى السرح من وادي المغس بدلت		معالمه و بلاو نكباء زعزها

و قربن أسباب الهوى المشيم		يقيس دراعا كلما قسن أصعا

فقلت لمظهريهن بالحسن نما		مررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا

---

[1]- أبي فرج الأصفهاني، ج3، ص131
[2]-المصدر نفسه، ص271

و في هذه الأبيات يتغنى صاحبها في البيتين الأوليين بلحن و الآخرين بلحن آخر و هذا ما يسميه أبي فرج "بزوج الشعر"، و قد اقتدى بذلك الكثير من المغنيين و ساروا على منواله.

و لعل ما طور و شجع هذا التنويع و التطوير للشعر مجالس الأمراء و الخلفاء إذ كان يجتمع في المجلس الواحد عدد من المغنيين و العازفين فيسهل الأول الغناء و الضرب على ألته ثم تنتقل النوبة الموسيقية إلى من يليه و كانوا يجدون في ذلك فرصة للتجديد و التنويع.

و قد أتم العبقري أبو الحسن على بن نافع الذي انتقل إلى الأندلس في عهد الأمير الحكم بن هشام بكل هذه الابتكارات فأسس مدرسة للغناء المشرقي بها نهج خاص وصفه المقري بقوله: " و استمر في الأندلس أن كل من فتح الغناء يبدأ بالتنشيد و شتذوه بأي نعز كان و يأتي إثره بالبسيط و يحتم بالمحركات و الأهزاج تبعا لمراسيم زرياب"([1]).

فكان نشاط زرياب محصورا في القصور الملكية ثم انتقل إلى قصور الأمراء حتى عم جميع الناس الذي ولعو بالموسيقى المترقية و أحبوها فتفرق تلاميذته في أنحاء البلاد عاملين على ترسيخ و دعائم المدرسة و توطيدها و تثبيت ركائزها حتى قال ابن خلدون ([2]) " فاورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف و طما منها بإشبيلة بحر زاخر و تناقل منها ذهاب حضارتها إلى بلاد العروة بافريقية و المغرب".

---

[1]-المقري: نفح الطيب، ج، ص112

[2]-ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص427

و من أشهر القصائد التي كان يتغنى بها في الأندلس قصيدة بن الحداد الذي يقول فيها مقلدا المشارقة ([1])

قذرَ العَقيقَ مَجَانينَا لعَقوقِه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فَدَعْ العُذيبَ عَذيبُ ذَات الضَالِ
أفق مَحَلى بالقَوَاضِبِ و القَنَا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ للأغِيدَ المَعطارِ و لاَ المُعْطَالُ
حجوبكَ الأمْنَ تَوَهَم خَاطِرِي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ و حَمَوكَ الأمْن تَصَورَ بَالِي
و الفارظَانِ جَميل صَبري و الكَرى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فمتَى أرجَى مِنكَ طِيقَ خَيَالِ

و بهذا فقد اشتهر الشعر الغنائي في الأندلس و ذاع صينه و شاع بين العام و الخاص فألفت الكثير من الكتب الخاصة بالموسيقى و الغناء، ككتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني و كتاب الفيلسوف بن باجة الألحان المطربة" و كتاب الأغاني الأندلسية ليحي المرسي و كتاب بن عبد الله الحداد الذي مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية و الآراء الخليلية.

و يرى الأدباء أن طريقة زرياب في الغناء كانت سببا قويا في اختراع الموشحات كون أن مراسيم زرياب كانت تقتضي عددا من المقطوعات الغنائية و تشمل ألحانا ثقيلة و بسيطة.

و يقول فؤاد رجائي ([2]):" لا تزال الأسباب التي أدت إلى ظهور الموشحات في المغرب دون المشرق مجهولة، و لكن من المحتمل أن يكون للأغاني الشعبية الإسبانية، لمتأثرة بالكنيسة دورها في هذا الأمر و ربما كان للتطور الخاص للموسيقى العربية في الأندلس دوره أيضا".

---

[1]-ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 427.
[2]-مصطفى عوض كريم، فن التوشيح ص89

و بهذا فقد تأثر الشعر بالغناء و ذلك من حيث الألفاظ التي ازددت لينا، و بساطة فتسربت إليها الركاكة و فثار المحافظون على هذه القصائد التي أفسدت الشعر فقالوا: و تركوا الذي هو أرق من الماء و أضفى من ورقة الهواء و كل مدني رقيق، و قد غنى بماء العقيق و غنوا بقول الشاعر.([1])

فَلا أنْسَى حَيَاتِي مَا   عَبَدتَ الله َلِي ربَا
وَ قُلتَ لَهَا أَنيلي   فَقَالت لَفرقِ الدِبَا
وَ لَو تَعْلَم َمَا بِي   لَمْ تَهَب دبَا وَ لاَ كَلبَا

و لعل السبب في ضعف لغة الموشحات هو ارتباطها بالغناء و لذلك فقد تضمنت الموشحات من أجل الغناء.

ب - الموشحات بين التأثير و التأثر:

من المعلوم أن الأدب نشأ في سياق شفافي يجعل للقارئ سليقة فنية تمكنه من استيعاب العمل الفني و إدراك مواطن جمالة و التشبع بالتقاليد الأدبية المتوارثة.

مما يتمكن القارئ من التواصل مع المبدع.

و من العمل الأدبي ما هو مؤيد و منه ما هو معارض لما جاء في ثراتنا الأدبي، إذ هناك قصائد نالت شهرة و أبدى القارئ و المستمع و لوعة بها فكانت لؤلؤة عصرها و زمانها فيعشقها العام و الخاص كالمعلقات، معلقة امرئ بن القيس، و زهير و عنتر بن شداد و غيرها، و هناك من الشعر ما عرف معارضة كقصيدة البحتري، و بائية بن تمام و ميمية المتنبي و نونية ابن زيدون التي يقول في مطلعها:

---
[1]-السيد غازي: ديوان الموشحات الأندلسية، ص125

أضحى التنائي بديار من تدانينا   و تاب عن طيب لقيانا تجافينا([1])

و نونية ابن زيدون تعبر في مجملها عن السعادة و الشقاء و السعادة و التعاسة.

و من تأثر بها من الوشاحين : بدر الدين بن الوكيل و ذلك من خلال تضمين بعض أعجاز النونية في مواضيع ثابتة من الموشحة في الأقفال و مطلع الموشحة([2])

غذا منادينا محكما فينا   يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

و نلاحظ هنا أن ابن الوكيل متأثر بقصيدة ابن زيدون و ذلك من خلال استخدام قافية النون و بدء الموشحة بالفعل الدال على التحول غدا بديلا للفعل أضحى عند ابن زيدون و كذلك في تضمين الصدر في قوله يقضي علينا الأسى لولا تأسينا، و ما ساعد عل وحدة التضمين في القصيدتين هو وحدة الموضوع.

كما أن ابن زيدون استخدم السلب و التضاد و المقابلة بين الأزمنة بين الشرب و الوصال والمستقبل الذي يرادف البعد و الفراق و جاء يمثلها ابن الوكيل في موشحته فيقول ابن خلدون:

حَالت لفَقدَكم أيامَنا فِغَدت   سَودَاٍ وَ كَانَتِ بِكُم بَيضَا لَيَالِينَا

و يقابلها ابن الوكيل بقوله:

قد غَيرَ الإحسامِ و حَير الأيامُ   سُودَا و كَانت بِكم بَيضَا لَيالِينَا

فكلاهما استخدم نفس الألفاظ (الأيام و غدت و حالت و سوداء)

---

[1]-أحمد محمد عضا: الوشحات و الأزجال، ص57

[2]-مصطفى عوض كريم: فن التوشيح، ص83

و قد ساهمت عدة عناصر في الإيقاع الموسيقى في نونية ابن زيدون منها: أنها من البحر البسيط و هو من البحور التي تيثر العاطفة لدى الآخرين، كذلك حروف القافية، حيث حرف الروي النون و الردف الياء و الخروج الألف فشكلت هذه الحروف إيقاعا موسيقيا ثابتا و هذا ما نجده عند ابن الوكيل حيث أن موشحته جاءت فيها مساواة سن الأبنية و ذلك من خلال قوله: ([1])

أ)- غدا منادينا --- محكما فينا ---- تأسينا

ب)- قد غير الأجسام --- و حير الأيام --- ليالينا

ج)-بحاره مره--- حصنا على غره --- ناعينا

د)-و عند ما قد حا --- بالوصل أو قد كاد --- تدانينا

ه)-جديد ما قد كان --- بالأهل و الإخوان --- تصافينا

و)- و الكأسَ مترعَه --- حَيت مَشعشَعة --- مَغَنيًا

0/0/// 0//0/0//0/0/0//0/ 0//0/0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن متفعلن

و نفس الإيقاع في نونية ابن زيدون

بَحر الهوى يغرق	من فيهِ وجدا عَامِ
0//0/ 0//0/0/	0//0/0 /0/0/
مستفعلن فاعلن	مستفعلن فاعلمن

[1]-محمد أحمد عطا: دراسات في فني الموشحات و الأزجال، ص61

كما أن المسافة في الإيقاع كانت متساوية الأجراء، حيث في القفل الواحد ثلاث إيقاعات، إيقاعان متساويان و إيقاع مختلف عنهما.

مناديا ---- فينا ----- تأسينا

و سار على هذا النهج أبو حجة الحموي لكن الجديد عنده هو تضمين إعجاز أبيات الغير في أقفاله لشعراء مختلفين على عكس ابن الوكيل الذي ضمن لشاعر واحد و يقول في موشحته: ([1])

جَاءَتْ تُغَازِلُ بالأَجْفَانِ وَ المَقل   فَاهْتَزَ عَطْفِ غرَامِي وَ انْجَلَى عَذُلِيَ

فَيَالَهَا لحَظَاتُ للخَطَا نَسَبتُ   نَصِيبِ باللَّمْحِ قَلْبَ القَارِسِ البَطَلُ

فقلت: يا بنتي و زيني   بثربة الصبر يوم بيني

كحل بعينيك؟ قالت و هي في خجل   ليس التكحل في العينين كالكحل

و نجد في هذه الموشحة التضمين في مواضع ثابتة في نهاية الأفعال

(ليس التكحل في العينين كالكحل)

و قال ابن العطار مضمنا في موشحته ([2])

من ولي به و ستأى الجيد و المقل   تاه عن العدل رجاع إلى العدل

زنا إلى القضيب إذ حاجته   أما نرى أنها تهتز للوجال

---

[1]-ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل، ص183
[2]- محمد أحمد عطا: دراسات في فني الموشحات و الأزجال، ص65

فاضربت

أن يشبه الغصن يوما قدر   و هل يطابق معوج بمعتدل

الأسل

ينبكِ أنَي أم أجنحَ إلىَ البَدلِ   و لا تَرقبُ إليه همه الأمل

و أتى التضمين.

و هَل يُطابقُ مَعوجَ بِمَعتَدلَ   للطغَرائَي

و لا َترقبَ إليه هِمَة أملْ   لابن سناء

و هذه الصورة من التضمين أعجبت الوشاحين مما دفعهم إلى ابتكار نمط آخر غير مألوف، و فيها تضمين الوشاح موشحته كلام الغير، و ممن استطاعوا توظيف هذه الصورة من التضمين ابن العطار الذي يقبل في موشحته ([1])

أجاب دمعي و ما الداعي سوى طلل   و طل يسفح بين العذر و العذل

يا ساكن السفح كم عين بكم سفحت   ملء الزمان و ملء السهال و الجبل

قلب معنى و مدمع صب   يجر أذياله و يسحب

يشكو إلى القلب ما فيه من العلل   و القلب يسحب أذيالا من الوجل

و هذه الموشحة سارت على نفسي النمط السابق في الوزن و البناء و اختلفت عنهما في مواضع التضمين، و هنا آخر الوشاح عن :

أجَاب دَمْعِي   للمتَنَبي

ظَل يفسخ   للمُتَنبي

---

[1]-محمد زكريا عناني: موشحات أندلسية سلسلة عالم المعرفة الكويت،1981، ص 98.

يَا سَاكِنَ السَفْحِ   لابن النبيه

مَلءَ الزَمَانِ   المتنبي

القَلبُ يَسْحَب   ابن سناء

يشكُو إلَى القَلْبِ   للشريف الرضَى

و استطاع بهذا التضمين لمختلف الشعراء مع حفاظة على المعني و من أشكال التأثير و التأثر بين الشعر و الموشحات هو تضمين بعض الألفاظ و الأوزان و القوافي والأقفال، و ذلك على المستوى الشكلي و الدلالي فأما النمط الأول نجد قول ابن سهل ([1])

هَلْ أدْرِى ظَبَى الحَمَى أنْ قَدْ حَمَى   قَلبَ صَبَ حَلّةِ عَنْ مَكْنَس

و عارضه لسان الدين بن الخطيب بقوله ([2])

جَادَكَ الغَيْثَ إذَا الغَيْثَ هَمَا   يَا زَمَانَ الوَصْلِ بالأنْدَلُس

لم يَكُنْ وصْلُكَ إلاَ حلِمًا   فِي الكَرَى أو حِلسَه المُخْتَلس

و هنا موشح ابن سهل يتكون من ستة أقفال مركبة من أربعة أجزاء، و خمسة أبيات مركبة من ستة أجزاء و هو من بحر الرمل موضوعه الغزل و الخرجة معربة.

و موشح لسان الدين تام، يتكون من إحدى عشر قفلا مركبا من أربعة أجزاء، و عشرة أبيات مركبة من ستة أجزاء و هو من بحر الرمل و موضوعه الغزل و الخرجة جعلها مطلع ابن سهل السابق.

---

[1]-محمد زكريا عناني: موشحات أندلسية، ص99

[2]-المصدر نفسه، ص100

و من مظاهر التضمين أن الموشحين من بحر الرمل، كما أن الأبيات اتفقت في الأجراء كما أن الأقفال اتفقت في التقفية الداخلية حرف الميم و الخارجية حرف السين و يتبين ذلك من خلال:

*ابن سهل : هَلْ دَرَى صَبَي الحَمَى فَتَحَمَى

*لسان الدين: هَلْ دَرَى صَبَي الحَمَى قَدْ حَمَى

*ابن سهل: فَهُوَ فِي حَرٍ و خَفَقَ مِثْلَمَا

*لسان الدين: فَهُوَ فِي حَرٍ و خَفَقَ مِثْلَمَا

*ابن سهل: يَنْبتَ الوَرْدُ بِغَرْسٍ كُلَمَا

*لسان الدين: و النَدَى وَ الأقْحَوان كُلَمَا

التقفية الخارجية:

* ابن سهل: لَعِبْتَ رِيحَ الصَبَا بِالقَبْسِ

* لسان الدين: هجَم الصَبحِ خُجُومَ الحَرُسِ

* ابن سهل: ذَلِكَ الوَرْد عَلَى المُقْترسِ

* لسان الدين: أثَرَتَ فِينَا عُيُونَ النّرجَسِ

و بهذا استطاع كل وشاح أن يضفى على موشحيه المتضمن و كل منهما وقع تحت تأثير الآخر كما هو واضح في تضمين لسان الدين في خرجته مطلع موشحة ابن

سهل و النسج الأندلسي السابق لا يختلف عن النسج المشرقي و يظهر هذا جليا في موشحة سراج الدين المحار ([1])

مذشمت سنَا البُرُوقِ من نَعْمَانِ   باتَت حَدْقَى

تذكي بِمَسِيلِ دَمْعَهَا العَتَانِ   نَارِ الحَرْقِ

و مطلع موشحة صلاح الدين الصفدي. ([2])

جاهز قضيب قَدِه الريَانِ   للْمُعْتَنِقِ

إلا استترتَ مَعَاطِفَ الأعضَانِ   تَحتَ الوَرقِ

و يقول في هذه الموشحة سرادج الدين المحار: **"قلت لا يخفى على الناظم أن هذا المحار أجزل لفظا وأحكم من موشحه صدر الدين بن الوكيل"** و قد أخذ الوشاحون منه بعض الألفاظ و المعاني، و موشحة المحار تتكون من ستة أفعال، مركبة من أربعة أجزاء،و خمسة أبيات و لم تعرفه الموشحات الأندلسية من قبل.([3])

و موشحة صدر الدين بن الوكيل تتكون من سبعة أفعال و ستة أبيات، و موشحة الصفدي كذلك.

و المثال الآتي يظهر لنا مدى التأثر بين الوشاحين على الرغم من أن الوشحات قيلت في عصر واحد كسبيل على ذلك، التضمين في القافية الداخلية:([4])

1-المحار: عَذْب الرَشَفَاتِ سَاحِرَ الأجفان

ابن الصائغ: لَوْ أَرْسَلَ رَبَ فتن الأجْفَانِ

---

[1]-محمد زكريا عناني، الموشحات الأندلسي، ص53

[2]-صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص182

[3]-صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص193

[4]-المصدر نفسه، ص194

ابن العطار: مَا جَرَدَ صَرمَا مِنَ الأجْفَانِ

2-المحار: هَذَا قَمر بِلاَ نُقْصَانِ

ابن لوكيل: يَزداد سنا و خَصَ بالنُقْصَانِ

1-المحار: بَاتت حُدقِي

ابن الوكيل: سَودَ الحَدقِ

الصفدي: مَرعَى الحِدقِ

2-المحار: عُضُ الوَرَقِ

ابن الوكيل: بَينَ الوَرَقِ

الصفدي: تَحتَ الَورَقِ

و هنا يظهر التأثر بالقافية الخارجية أكثر من تأثرهم بالقافية الداخلية، كما أن ابن الوكيل هناك من تأثر به من حيث ألألفاظ أما البناء فواحد و يقول صلاح الدين الصفدي ([1]).

جَامِحَ فِي الدَلالِ	جَامِحَ لِلْهَجْرِ
خَاطَرَ فِي الجَمَالِ	عَاطِرِ فِي النَشْرِ

[1]-صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، ص 195.

هنا التزم الصفدي بالتقفيه و لم يغير شيئا و كذلك الموضوع و البحر أما موشحة الموصلي نجد أن ألفاظه جزلة، و متحكم في عرض الصور و الألفاظ و المعاني و ذلك اجع إلى قدرته و تمكنه من هذا الفن فيقول:

أغير أنَ رَضَا　　　سَلْ بَيضَ الصِفَاح

و إذَا مَا انثَنَى　　　هَز سَمَر الرَمَاح

لقتلَى دُنَا　　　ذَا أَمير المَلاحِ

ضَاربَ بالنضَالِ　　　طَاعِن بالسَمرِ

رَاشَق بالنبَالِ　　　نافتَ بالسحْرِ

و هنا كل دور من أدوار الموشح يعد وحدة متكاملة الصورة و البناء و المعنى متكامل البناء و الألفاظ

و قد تأثر الصفدي بالموصلي حيث اشتق المعنى و بعض الألفاظ:

الموصلي: نَافِر كَالغَزَالِ　　　سَافِر كَالبَدرِ

الصفدي: يا جيَاء الغِزَالِ　　　و افتضَاحَ السَمْرِ

الموصلي: مَهز الجَمَالِ　　　مَثمر بِالبَدرِ

الصفدي: خَاطِر فِي الجَمَالِ　　　عَاطِرَ فِي النَشْرِ

و عليه فإن المعارضات ساعدت في انتشار فن الموشح فكان تأثر الوشاحيؤن فيما بينهم واضحا في النماذج السابقة الذكر مما طور في فن التوشيح و شجع على

الاهتمام بهذا الفن أكثر فأكثر، فحض باهتمام كبير و عناية جعلت منه قائما بذاته ترك بصمته في تاريخ الآداب.

ج ــ وشاحون أندلسيون:

لعل أوائل الوشاحين في الأندلس محمد بن محمود القبري ومقدم بن معافي وأبا عمر بن عبد ربه، تم جاء يوسف بن هارون الرمادي الكندي. والذي يقال أنه لم يكن فن التوشيح قد اكتمل قبله فلم يكن في الموشحة تضمين أو أغصان حتى جاء الرمادي[1] "فلم يكن أول من أكثر من التضمين في المراكز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة".

والمركز هنا هو القفل إذ كان القفل يتكون من عصب واحد وبمجي بن هارون الرماد تعددت الأغصان تم جاء بعده مكوم بن سعيد إلى أن ظهر عبادة بن ماء السماء الذي كان شاعرا فحلا من شعراء آخر العصر المرواني، ايقول ابن يسار".

كان في ذلك العصر شيخ الصناعة، وأحكم الجماعة[2]، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا "فقالت غرائبه مرحبا وأهلا".

---

[1] ابن بسام الدخير، ج3، ص4
[2] المصدر نفسه، ص12

وعلى يد عبادة بن ماء السماء قد اكتملت صورة الموشح، إذ أنه هو الذي أحذث التغيير وأنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها وهو من جعل الأدوار مركبة فكان يجعل النمط مكونا من فقرات عديدة فكثرت بذلك".

القوافي داخل السمط الواحد وتعدد القوافي هو ما يسمى "بالتضمق" ومن "المعروف عن عبادة انه مكثرات للموشحات [1]فكانت موشحاته مكتملة الصورة عارية من التكلّف فيقول ابن بسام صلم تكن ضاعة التوشيح مرموقة البرود ولا منظومة العقود[2] فأقام عبادة هذا منادها وقوم ميلها وسنادها فكأنما لم تسمح بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه أشهر بها إشهار غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته" غير أن موشحاته ضاعت لم يبقى منها إلا قليل في قوله:

مَنْ وَلَى فِي أُمِهِ أَمْرٍ ولَمْ يَعْدِلُ

يُعْزَلُ الألْحَاظُ الرَشَا الأَكْحَلُ

ولعل السبب في ضياع موشحات عبادة بن ماء السماء أنه الكثر من تجاهلوه بالرغم من الدور الذي لعبه في تطوير الموشحات.

---

[1] المصدر نفسه، ص12

[2] المصدر نفسه، ص18

ثم جاء محمد بن عبادة القزاز ولعل التشاب بين الاثنين جعل الكثير من ينسب موشحا لعبادة بن ماء السماء لابن القزاز.

أما القزاز فكان يكنى بأبي بكر وأحيانا بأبي عبد الله[1] اتصل بني صمادح أصحاب المرية وفيهم يقول" .

ولو لم أكن عبدا لآل صمادح وفي أرضهم أصلي وعيشي مولدي

لما كان لي إلا إليهم ترحل وفي ظلهم أمسى وأضحى وأغتدي

وله أبيات أخرى أوردها ابن بسام في الدخيرة[2]

يا مَنِيفَا عَلى السَمَاكِنَ سَامِ حَزَتْ حَقْل السِبَاقِ عَنْ بَسَامِ

أَن تَحِلَ مَدْحَهُ فَأَنْتَ زَهْرُ وتشبُب فَعُروَةُ بَنُ حُزَامِ

أو تُبَاكِرُ صَيدُ المَهَا فَابْنٌ حَجَر أَوْ تَبكِي الدِيَارُ فَابن جزَامَ

أو تَذم الدِيَارُ هُو حَقِيقُ فَأبوا الطيِّبِ البَعيدِ المِرَاسِ

ومن أشهر الوشاحين في عصر ملوك الطوائف، أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف ابن اللبانة وهو أحد شعراء بلاط المعتمد بن عباده، وكان يحسن الشعر والقويص والموشحات كما كان ينظم الرجل يقبل في أحد موشاحته"

---

1 المصدر نفسه، ص40

2 المقري: نفح الطيب، ج3، ص250

كذا يقتاد منا كوكب الوقاد إلى الجلاس مشعشعة الأكواس

أقم عذري فقد أن أعطف

على خمر يطوف بها أوصف

كما تدري هطم الحشا مخطف

ومن الوشاحين في عصر ملوك الطوائف[1]

أبو بكر محمد بن رافع رأسه الذي كان متصلا بالمأمون ومن موشحته المدحية:

العود قد ترنم بأبدع تلحين

وسقت المذائب رياض البساتين

وخرجة هذا الموشح

تخطو وليس تسلم بمساك المأمون

مروع الكتائب يحي بن ذي النون

وله موشحته متغير فيها ببلاد المغرب

وكذلك من أشهر الوشاحين أبوبكر الكميت

بن الحس أشهر في القرن الخامس الهجري[1]

[1] ابن سعيد: المغرب من حلى المغرب، ج2، ص134

ويقول في أحد موشحاته:

سَوى طيفُ الحَيالِ

من أَمْ جُنْدبْ

لِتَجْديدَ الوِصَالِ

والعَهد الأَولِ

فَطَالمَا مَنعْتُ

وفي عصر المرابطين أزهرت كوكبة من الوشاحين الذين ذاع صيتهم منهم الأعمى التطيلي والذي كان شعره في غاية الجودة حتى أن ديوان شعره كان مخطوطا في المتحف البريطاني بلندن.

وشهدته الأدبية على ما له من موشحات رائعة منها ما قال[2]

ضَاحك عن جُمَانِ، سَافرِ عَن بدرِ

ضَاقَ عَنه الزَمَان وحَواهُ صَدْرِي

آه مِمَا أَجِدْ

سَقَي مَا أجِدْ

[1]ابن سناء الملك: دار الطزر، ص55

[2] المصدر السابق، ص43

قَامَ بِي وَقَعَدْ

قَالَ لِي بينَ قَد

وأنثى خُوط بأن ذَا مَهْرِ نَظَرِ

عَابِثَة يَدان للصبِا والقُطْرَ

ومن أشهر من برعوا في فن التوشيح ابن سهل ومن أشقى موشحاته.

هَل دَرَى طَبَى الحِمَى قَد حَمَى

والذي قال فيه ابن خلدون[1] "أنها من محاسن أهل الجزيرة المتأخرين"

وقد عارضها الكثير من الوشاحين منهم لسان الدين بن الخطيب وأحمد شوقي في موشحته صقر قريش والتي ممطلعهما[2]

مَن لِتَصوسِينزِي أَلَمَا   يَرُح الشَوقُ بِهِ فِي الغَلْسِ

حَن اللبانُ وناجَي العَلَمَا   أَيْنَ شُرقُ الأرْضِ مِنَ أَنْدلُسْ

كما عارض ابن زمرك في موشحته: [3]

تَواسِمُ البُسْتَانِ   شَتُرَ سِلْكُ الزَهُرِ

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص399

[2] المقري: نفح الطيب، ج3، ص204

[3] المصدر نفسه، ص 204.

وبانتهاء عصر الموحدين ابتهى عصر التوشيح واخذ يسمع نجم الزجل إذ يقول ابن خلدون "وهذه الطريقة الوجلين لهذا العهد[1] هي فن عامة الأندلس من الشعر وفيها نظمهم، حتى أنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ولكن بلغتم الغامية ويسمونه شعرا"

ويعد ابن الخطيب أحد أئمة الزجالين.

فألف كتابه "فن التوشيح " جمع فيه موشحات أئمة الموشحات الأندلسية.

ولعل آخر وشاح مشهور أنجبته الأندلس هو أبو عبد الله يوسف بن أحمد المعروف بالين زمرك والذي كان يواغي صحة اللغة والنحو في موشحاته، مع ذلك فقد جاءت جدية خالية من التكلف.

وقد اختار له المقري خمسة عشر موشحة في كتابه نفح الطيب ومن أشهر ما قال[2]

بِاللهِ بإِقَامة القَضِيبِ

وُمخْجل الشَمسِ والقَمَرِ

---

[1] ابن خلدون: المقدمة ج3، ص411

[2] المقري: نفح الطيب، ج3، ص114

مَنْ مِلكُ الحَسِ فِي القُلُوبِ

وأَيْدِ اللحظِ بِالحُورِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعَهُ رَقِيقًا

لَمْ لَدرَما لَذَه الصبَا

قُربَ حَر عِذَار رقِيقَا

وبهذا أكون قد تطرقت إلى أشهر الموشحين في الأندلس الذين عرفت موشحاتهم رواجا كبيرا عند العام والخاص وأصبحت نموذجا للمحاكاة.

تاركة بذلك بصمة في تاريخ الأدب العربي خاصة والأدب العالمي عامة ، وتبقى الأندلس بفنها وأدبها ظاهرة فنية لا تتكرر.

الخاتمة

الخاتمة :

بعد هذا البحث المتواضع توصلت إلى أن الأندلس قيمة تاريخية وظاهرة لا تتكرر كونها مهدا لأرقى الحضارات والثقافات والفنون وأن الموشحات والأزجال فنان أندلسيان تطورا إلى أن أصبحا فنان قائمان بذاتيهما.

والموشح جاء بمثابة ثورة على الأوزان والأعاريض الرتيبة التي عرفها العرب منذ القدم فجاء بشكل جديد يتماشى ومتطلبات الحياة آنذاك فولع به الأندلسيون و آثار دهشة المشارقة وإعجاب الأجانب إلى حد التأثير به فنظموا على منواله فيم يعرف بشعر التروبادوا.

وقد نظم الوشاحون والزجالون في كل الأغراض التي نظم فيها الشعراء، ولكن ما يميزهم هو الاعتناء بغرض وصف الطبيعة باعتباره الغرض الغالب آنذاك وذلك نتيجة للبيئة والطبيعة الأندلسية الساحرة التي فجرت قرائح كل الأندلسيين مما جعلهم يبدعون ويبرعون في هذا الغرض.

ونظرا لسهولة لغة الموشح وبساطتها أصبحت جل القصائد تغنى وعليه لم يكن اهتمام الوشاحين بالتركيب في الأسلوب ولا بالحركات الإعرابية بقدر اهتمامهم بالكلمة البسيطة المعبرة.

وبهذا أكون قد توصلت ولو بقليل إلى توضيح معنى الموشح وبنائه والتعرض إلى بعض النماذج المعروفة في هذا الفن الذي كان بمثابة نقطة تحول في الأدب العربي تاركا بصمة تاريخية لها مكانتها في الأدب العربي .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر

* القرآن الكريم.

1- الأبشيهي :المستطرف من كل فن مستظرف، مصر1942

2- ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت 1981.

3- ابن الأبّار :الحلة السيراء، القاهرة 1963 .

4- ابن الخطيب، لسان الدين :الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى القاهرة 1974.

5- ابن الخطيب، لسان الدين :الكتيبة الكامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيرو ت (د . ت).

6- ابن الخطيب، لسان الدين :جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، مطبعة المنار، تونس 1967.

7- ابن الزقاق البلنسي :الديوان، تحقيق عفيفة ديراني، بيروت 1965.

8- ابن الكتاني الطبيب :التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د .ت).

9- ابن بسام الشنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1979.

10- ابن حزم الأندلسي :طوق الحمامة في الألفة والألّاف، دار مكتبة الحياة، بيروت1980 .

11- ابن حيان القرطبي :المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، طبعة الأب ملشور أنطونيا، باريس 1937.

12- ابن خاتمة :الديوان، تحقيق د .محمد رضوان الداية، دمشق 1972.

13- ابن خاقان، الفتح :قلائد العقيان، مصر 1320 ه.

14- ابن خاقان، الفتح :مطمح الأنفس، القسطنطينية 1302 ه.

15- ابن خلدون، عبد الرحمن :المقدمة، طبعة كاترمير، باريس 1857.

16- ابن دحية :المطرب من أشعار أهل المغرب، دار القلم، بيروت 1955.

17- ابن رشيق القيرواني :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، الطبعة الرابعة، بيروت 1972.

18- ابن زيدون القرطبي :الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت، بيروت 1979.

19- ابن سعيد، علي :المغرب في حلى المغرب، تحقيق د .شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة 1964.

20- ابن سعيد، علي :المقتطف من أزاهير الطرف، مستلة من كتاب" أعمال مهرجان ابن خلدون"، القاهرة 1962.

21- ابن سهل الأندلسي :الديوان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1967.

22- ابن عبد ربه :الديوان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979.

23- ابن عربي، محي الدين :الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت 1996.

24- ابن قتيبة الدينوري :الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1966

25- ابن قزمان، أبو بكر :الديوان، تحقيق ف .كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1980.

26- ابن مرابط، محمد :الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1982 .

27- ابن منظور، جمال الدين :لسان العرب، بيروت 1955.

28- الأعمى التطيلي :الديوان، تحقيق د .إحسان عباس، بيروت 1963.

29- آل طعمه، عدنان محمد :موشحات ابن بقّي الطليطلي، بغداد 1979.

30- الششتري، أبو الحسن :الديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية 1960.

31- المقري شهاب الدين أحمد : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، 1995.

32- ابن المُلك، سَناء :دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودت الركابي، الطبعة الثانية، دمشق 1977.

33- النواجي، شمس الدين :عقود اللآل في الموشحات والأزجال، تحقيق عبد اللطيف الشهابي، دار الرشيد، بغداد 1982.

المراجع:

1- التلمساني، أبو مدين :الديوان، طبعة 1357 هـ.

2- الحلبي، شهاب الدين :حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد 1980.

3- الحِلي، صفي الدين :العاطل الحالي والمرخص الغالي، تحقيق ولهلم هونرباخ، فيسبادن 1955.

4- الحموي، ابن حجة :بلوغ الأمل في فن الزجل، تحقيق د .رضا محسن القريشي، دمشق 1974.

5- الحميدي :جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت 1983.

6- الداية، محمد رضوان :أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت 1976.

7- الصفدي، صلاح الدين :الوافي بالوفيات، فيسبادن 1961.

8- الصفدي، صلاح الدين :توشيع التوشيح، تحقيق ألبير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت 1966.

9- الضبّي :بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967.

10- العسكري، أبو هلال :كتاب الصناعتين، القاهرة (د .ت).

11- المقرّي، شهاب الدين أحمد :أزهار الرياض في أخبار عياض، القاهرة 1939 – 1942.

12- عوض مصطفى الكريم : فن التوشيح، الطبعة الثانية، بيروت 1974

13- عباس، إحسان :تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، الطبعة الخامسة، بيروت 1978.

14- عباسة، محمد :أثر الشعر الأندلسي في شعر التروبادور منذ نشأته حتى القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 1983.

15- عتيق، عبد العزيز :الأدب العربي في الأندلس، ط3 .، بيروت 1976.

16- ضيف، شوقي :الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، الطبعة السابعة، القاهرة 1969.

الفهرس

الفهـــــرس

الملخص

لقد قام هذا البحث على دراسة الموشحات والأزجال باعتبارها فن ابتكره الأندلسيون رغبة منهم في التجديد.

وما عرف عن الموشحات بتعدد أشكالها وتنوع أو ا زنها وسيولة لغتها وبساطتها مما جعلها محطة أنظار الباحثين ونقطة اهتمام الأدباء ، فكان لها صدى واسعا جعلها ترقى إلى مصاف الآداب السامية أما الأزجال فما هي إلا تقليدا للموشحات ولم تختلف عنها إلا في الشكل واللغة أحيانا ولازالت الأزجال والموشحات إلى يومنا هذا يتغنى بها أهل المشرق والمغرب كما أثرت في الشعر الأوربي عامة فأصبحوا ينظمون على منوالها.

الكلمات المفتاحية:

الموشح – الشعر – الأدب – الوزن – الشكل – القافية – النظم – التأثير –البيئة – الغرض – اللغة – الأندلس – الدراسة – الوشاحون – الزجل التجديد.

Résume:

La présente recherche est une étude de Muwashshah et Zadjal comme un art innové par des Andalous désirant la rénovation, et sur les différentes formes, Mawazines, la facilité et simplicité de la langue utilisée. Ce qui rend tous les regards des chercheurs et l'intérêt des littéraires sur eux. Leur propagation permet leur classification parmi les grands textes littéraires. Zadjal était qu'une imitation du Muwashshah, il ne se diffère que par la forme et le langage parfois.

Jusqu'à nos jours, Muwashshah et Zadjal est chanté par les orientaux et les maghrébins. Ils ont influencé le poème européen en général, et ils font des poèmes sur ses règles.

Les mots clés :

Muwashshah – poème – littérature – Mawazine – forme – rime – influence – environnement- objet – langage – Andalousie –étude- Zadjal – rénovation.

Summary:

This research studies Muwashshahat and Zajal as art founded by Andalusians with a will of renovation. Also studies what was known about Muwashshat, their different forms, Mawazines and their simple words which made the look of researchers about it and it were point of interest of literates. It propagation made their join the high culture. And Zajal was imitation of Muwashshahat. It differs only by her form and language sometimes.

Till nowadays, Muwashshaht and Zajal are singing by Oriental and Maghreb people. It influences European poems in general. They produce on their rules.

Keys words:

Muwashshah – poem – literature –Mawazine – forms – rhyme – influence – environment – language – Andalucia –study – Zajal – renovation.

ملخص الرسالة

تعتبر بلاد الأندلس من أرقى البلدان العربية تميزت به من تطور وازدهار في شتى المجالات جعل منها أسطورة في الجمال ونظر لما عرفته هذه البلاد من تغيرات وصراعات ونزاعات فقد مرت عبر أطوار مختلفة تخللتها فترات من ازدهار وأخرى من الانحدار ولعل لهذه الظروف والعوامل تأثير على الأدب بصفة عامة . فقد ظل الأدب بها مد لأدب المشرق إلى غاية عصر الخلافة أين طرأت تغيرات على البيئة الأندلسية مما كان يستدعي إلى تطور في مجالات عدة اجتماعية ثقافية وأدبية.

واستجابة لهذه الظروف كان لابد للأندلسيين أن يخترعوا شيئا ونمطا جديدا يتماشى وبيئتهم فجاءت الموشحات والأزجال تعبيرا عن تطلعاتهم ومحاولتهم للتجديد.

ولعل كلمة الموشح لفظ استمد معناه من الوشاح وقد جاء ذلك في " لسان العرب " لابن منظور إذ يرى أن[1] : " الوشاح حلي للنساء ، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به ". أما عند اللغويين " هو نوع من اللباس ترتديه المرأة للزينة وتوشحت المرأة أي لبست ، ومنه توشح الرجل بثوبه "[2].

وعليه نستخلص أن الموشح لغة هو من الفعل لبس وسمي كذلك بالموشح لأن أبياته وأقفاله كالوشاح وبعد ظهور هذا اللون تجديد من الشعر لا يزال الغموض حول مخترعه ونشأته.

---

[1] – ابن منظور لسان الدين بن الخطيب ، لسان العرب ، بيروت ، 1955.

[2] – ابن منظور لسان الدين الخطيب ، المصدر نفسه.

وتناوله بالدراسة ابن سناء الملك في كتابه دار الطراز في عمل الموشحات حاول استخلاص قواعد هذا الفن فقال[1] " الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص وبتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات ويقال له التام وفي الأخر خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع فالتام ما يبتدئ به بالقفال والأقرع ما يبتدئ بالأبيات " ، كما تعرض ابن خلدون لتعريف الموشح حيث قال " وما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه غاية استحدث المتأخرون منهم فنا يسموه الموشح "[2].

والموشح أندلسي النشأة وهو نوع من أنواع الشعر العربي واختلف القدامى حول من نظم الموشح ويقول ابن بسام[3] " أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأقفالها واخترع طريقتها فيما بلغني محمد بن محمود الفيري الضرير كان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على أعاريض المهملة غير المستعملة . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد هو أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز واستمر على ذلك سواء عصرنا كمكرم بن سعيد وبن أبي الحسن ثم نشأ عبادة بن ماء السماء فأحدث التضفير " يتكون الموشح من عدة أقسام أولها المطلع وهو مجموعة الأولى من أقسام الموشح وهو البيت الأول منها فإذا بدأ الموشح بالمطلع سمي تاما والموشح يخلو أحيانا من المطلع ويسمى أقرع ويسمى المطلع منها ويتألف من جزأين وقد يتألف من ثلاثة أجزاء وكذلك يتألف الموشح من البيت وتتألف البيت من شطرين ويكون البيت المطلع وتكون قوافيه مختلفة عن قوافي الأفعال.

---

[1] – ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات ، ط2 ، دمسق ، 1977 ، ص 32.

[2] – ابن خلدون : المقدمة ، طبعة كاترمير باريس ، 1857.

[3] – ابن بسام : الدخيرة ، ص 469.

ويتكون البيت من قفل وهو مجموعة الأجزاء التي تتكرر في الموشحة ويتفق القفل مع المطلع في الوزن.

والجزء هو الواحد من المطلع أو البيت أو القفل أو الخرجة وهي القفل الأخير من الموشحة وهي ركن أساسي لا يمكن الاستغناء عنه وغالبا ما تأتي بالعامية كما يبنى البيت الشعري أو الوزن . أما الإيقاع فهو نسبي ويختلف من شخص إلى آخر وأما الوزن فله قواعد رئيسية . كما يبقى البيت الشعري على مقاطع صوتية تتكون منها التفعيلة وأقسام الموشح اثنان منها ما جاء على أوزان العرب وآخر ما لا صلة له بأوزانهم.

أما عن الأغراض التي نظم بها الموشح ، فقد طرق الموشح جل الأغراض القديمة من غزل وفخر ، ومدح ورثاء وهجاء وتصوف وزهد ووصف للطبيعة ولكن الاختلاف بينها وبين القديم هو أن أغراض الموشحات جاءت ممزوجة فمثلا مزجوا بين الغزل والخمر ووصف الطبيعة والغزل وذلك يعود إلى طبيعة البيئة الأندلسية التي كانت معروفة بالجمال والرقي ومجالس الأنس والخمر واللهو . وكذا الظروف السياسية والمتمثلة في النزاعات والعصبية والخصومات كلها أسباب وعوامل أثرت في الموشح فجعلت الوشاح يمزج بين غرضين في الموشحة الواحدة، ولعل أبرز وأكثر ما نظم الوشاحون الأندلسيون هو الغزل ووصف الطبيعة وذلك لدوافع بيئية محظة ، إذ كانت طبيعة الأندلس الساحرة لا تفارق مخيلة الشعراء.

الزجـــــــــــل :

إن الزجل في اللغة هو الصوت ويسمى الحمام زاجلا لرخامة صوته ويقول ابن منظور في لسان العرب[1] " إن الزجل بالتحريك اللعب والجلبة ورفع الصوت وخص بالتطريب ".

[1] – ابن منظور ، لسان العرب : مادة زجل.

ويقول الحلي[1] " الزجل في اللغة الصوت ويقال سحاب زجل إذا كان فيه الرعد ويقال لصوت الأحجار والحديد والجماد أيضا زجل ".

والزجل في الاصطلاح ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيد من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب ، ولا يختلف عنه من حيث القافية إلا نادرا.

ويعد الزجل الفن الثاني المستحدث بعد الموشح وهو وليد البيئة الأندلسية وأول من درس فن الزجل هو صفي الدين الحلي.

ولعل مما ساعد على نشأة الزجل في الأندلس هو شيوع الموشحات بين الناس ، وقد اتفق المؤرخون على أن الموشح ظهر قبل الزجل ويقول ابن خلدون[2]:" ولما شاع التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الأندلس على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعرابا".

كما اختلف القدامى في أول من نظم الزجل وذلك لعدم وجود النصوص وجاء في العاطل الحلي[3]" إن القدامى اختلفوا فيمن اخترع الزجل فقيل إن مخترعه ابن غزلة استخرجه من الموشح وقيل بل يخلف بن راشد ".

وأورد بن سعيد في المقتطف[4] " قيلت بالأندلس قيل أو بكر بن قزمان ولكن لم تظهر حلاها ، ولا انسكبت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه وكان في زمان الملثمين وهو أمام الزجالين على الإطلاق ".

وعليه فإن الأزجال قيلت قبل ابن قرمان ولكنها اشتهرت في عهده وذلك كون الأزجال كانت تقليدا للموشح ولذلك لم يعنى بها ولكن في عهد ابن قزمان

---

[1] – صفي الدين الحلي : العاطل الحلي ، ص 9.

[2] – ابن خلدون : المقدمة ، ص 404.

[3] – صفي الدين الحلي : العاطل الحلي ، ص 16.

[4] – ابن سعيد : المقتطف ، ص 483.

جردوا لغة الزجال من الإعراب وجاءوا بلمعاني الطليقة فاشتهرت أزجالهم ومع ذلك لم يصل إلينا إلا ديوان ابن قزمان والششتري.

وقد تعرض ابن قزمان في بداية ديوانه إلى الزجالين الذين سبقوه قائلا[1]"لقد كنت أرى الناس ينهجون بالمتقدمين ويعضمون أولئك المتقدمين يجعلونهم في السماك الأعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأزجل وهم لا يعرفون الطريق ويذرون القبلة ويمشون في التغريب والتشويق يأتون بمعان باردة وأغراض شاردة ، وألفاظ شياطينها عمه ماردة والإعراب وهو أقبح ما يكون في الزجل وأنقل في إقبال الأجل " وينقسم الزجل إلى أقسام فقد تحدث ابن قزمان عن المركز والخرجة والمطلع والبيت وهي مصطلحات ذكرها الوشاحون . وللتشابه الكبير بين الموشح والزجل اعتبر القدامى مصطلحات الموشح هي نفس أقسام الزجل.

وبما أن الزجل من الشعر الفصيح ، فلابد أن يكون أوزانه من أوزان الشعر العربي لكن لم يكن الزجل في جميع البحور الخليلية فمنها ما هو من البحور الخليلية ومنها ما هو فرع منها وهو الغالب ، ويقول في هذا السياق ابن حجة الحموي[2] " زادوا على بحور الشعر التي هي ستة عشر بحرا من أوزان ما لا ينحصر وفن الزجل لم تزل أوزانه متجددة ولكنها غير حائزة في الشعر لخروجها عن البحور المعهودة ".

وعليه فإن أوزان الزجل الأندلسي لجأ في الأوزان إلى التنويع في الوزن ومع ذلك لم يخرج عن نمط التفعلية.

أما عن لغة الزجل فقد جاء في بداية الأمر بالغة فصحى وكان من اختصاص الطبقات المثقفة ويعد مجيء ابن قزمان الذي صعد إلى عناصر

---

[1] – ابن قزمان : الديوان ، ص 2.

[2] – ابن حجة الحموي : بلوغ الأمل ، ص 98.

لغوية عامية فقال[1] " وجرته من الإعراب وعربته من التحالي والاصطلاحات تجريد السيف عن القراب ".

وعليه فإن لغة الزجل تتألف من لغة غير معربة بالإضافة إلى عناصر لغوية أندلسية اختلطت فيها اللهجات المشرقية والمغربية.

أما عن الأغراض التي نظمت بها الأزجال فقد نظم الزجل في جل الأغراض التي تطربها الموشح.

ولعل أولها غرض العدل إذ ارتبط الغزل عندهم باللهو ، الهزل والغناء وكان مرتبط بمجالس الأنس والطرب ومنها أزجال بنت على الغزل وحدة ومنها ما يأتي ممتزجا بين أغراض أخرى كالمدح والخمر ووصف الطبيعة ويقول ابن قزمان[2]:

هجرني حبيبي هجـــــــــــــــــــر
وليس لي بعد هجـــــــــــــــــــر
هجرني وزاد بالصدود
ونظم على الحســـــــــــــــــــود

كما تناولت الأزجال الخمريات إذ جاء ممتزجا مع أغراض أخرى كالغزل والوصف والمدح.

ومن الأزجال التي بنيت على الخمر أزجال ابن قزمان الذي كان يتردد على مجالس الخمر واللهو . وجاء وصف الزجالين للخمر كما وصفت قديما لم يضيفوا لها جديدا.

---

[1] – ابن قزمان : الديوان ، ص 364.

[2] – ابن قزمان : الديوان ، ص 364.

ولا يخلو الزجل من وصف الطبيعة الخلابة التي تغنن فيها الشعراء وتغنوا بها وبجمالها ونجد من أشهر ما قيل في هذا الغرض زجل مدغيلس الذي كان يعتمد الصيغة والتنميق فوصف المناظر الخلابة وصفا دقيقا معتمدين في ذلك الألفاظ السهلة والأسلوب البسيط الذي يوافق تشخيص عناصر الطبيعة فصوروا النسيم والطير والأزهار والأشجار والنبات والوديان.

وقد اتخذت الأزجال نصيبا وافرا من المدح وموضوع المدح لم يكن خالصا وحدة بل غالبا ما يمتزج بالغزل والوصف والخمر ولعل من برعوا في هذا الغرض مدغيلس بقوله[1].

الهوى حملني ما لا يحتمـــل

ترد الحق لس لمن يهوى عمـــــــــــل

إن حماني من ذا تأخير الأجل.

وإن أزجال المديح جاءت في أغلبها في ذكر خصال الممدوح وصفاته الحميدة من كرم وجود وشجاعة وجاءت المعاني بسيطة.

ولم يقتصر المدح على مدح الأشخاص بل وصفه الشتشري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أول من أدخل التصوف في الزجل . ويقول الشتشري[2].

الله الله دعوني نذكر حبيبي بذكر ونطيـــــــــــــــــب

---

[1] – صفي الدين الحلي ، ص 642.

[2] – الششري : الديوان ، ص 88.

الله الله معي

حاضـــر

في قلبي قريب

أما الرثاء فهو قليل في الأزجال إذ رثوا الزجالون المدن والبلدان واشتهر بذلك الأندلسيون نظرا للخراب الذي شهدوه في بلادهم أما الهجاء فكان قليلا ونادرا. والهجاء قد الزجل يغلب عليه الارتجالية والعفوية . ولعل أشهر الزجالين في هذا الميدان الحسن بن أبي نصر الدباغ ولا يقع موضوع الهجاء وحدة بل يأتي ممزوجا بأغراض أخرى.

ولعل من أشهر الوشاحين والزجالين هم محمد بن محمود الفيري ومعفى القيري وبن عبد ربه يوسفين هارون الرمادي ومكرم بن سعيد وبن أبي الحسن وعبادة بن ماء السماء وابن القدار وابن ارفع رأسه ، والأعمى التطجلي وابن بقي الطليطلي وابن باجة وأبو بكر الأبيض وابن اللبانة والكميث وابن شرف وأبو قاسم المنشى وابن غزلة وابن فرس وابن رحيم وبن ينق وابن زهر الحفيد والتلاليسي.

أما الزجالون فهم ابن راشد وابن قزمان ومدغيلس وأبو بكر بن مرتين والبعيع وابن صارم وابن خاطب والدباغ والمكادى وابن رحبون ، والحداد والبلنس وقاسم بن غيود وابن العربي والعرفان الصوفي والشنشري وأبو مدين شعيب وبن الخطيب ولسان الدين بن الخطيب وبن عمير.

لعل هؤلاء الزجالين والوشاحين الذين ظهروا في بلاد الأندلس والمغرب وهناك من ضاعت أزجالهم وموشحاتهم ولم يصلنا منها شيء.